



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للعلوم الشرعية

مجلة علمية دورية محكمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

معلومات الإيداع

النسخة الورقية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٦ وتاريخ ١٤٣٩/٠٩/١٧ هـ
الرقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ٧٨٩٨-١٦٥٨

النسخة الإلكترونية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٨ وتاريخ ١٤٣٩/٠٩/١٧ هـ
الرقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ٧٩٠١-١٦٥٨

الموقع الإلكتروني للمجلة

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

Es.journalils@iu.edu.sa

(الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا
تعبر بالضرورة عن رأي المجلة)

هيئة التحرير

أ.د. أمين بن عائش المزيني

(رئيس التحرير)

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد العزيز بن جليدان الظفيري

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

أ.د. حافظ بن محمد الحكمي

أستاذ علوم الحديث بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد سعد بن أحمد اليوبي

أستاذ أصول الفقه الجامعة الإسلامية

أ.د. أحمد بن محمد الرفاعي

أستاذ الفقه بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرحيم بن عبد الله الشنقيطي

أستاذ القراءات بالجامعة الإسلامية

أ.د. علي بن سليمان العبيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن

سعود الإسلامية (سابقاً)

أ.د. مبارك محمد أحمد رحمة

أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة أم درمان الإسلامية

أ.د. محمد بن خالد عبد العزيز منصور

أستاذ الفقه وأصوله بالجامعة الأردنية وجامعة الكويت

سكرتير التحرير: خالد بن سعد الغامدي

قسم النشر: عمر بن حسن العبدلي

الهيئة الاستشارية

أ.د. سعد بن تركي الختلان

عضو هيئة كبار العلماء (سابقاً)

سمو الأمير د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود

أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود

معالي الأستاذ الدكتور يوسف بن محمد بن سعيد

نائب وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

أ.د. عياض بن نامي السلمي

رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

أ.د. عبد الهادي بن عبد الله حميتو

أستاذ التعليم العالي في المغرب

أ.د. مساعد بن سليمان الطيار

أستاذ التفسير بجامعة الملك سعود

أ.د. غانم قدوري الحمد

الأستاذ بكلية التربية بجامعة تكريت

أ.د. مبارك بن سيف الهاجري

عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت (سابقاً)

أ.د. زين العابدين بلا فريج

أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني

أ.د. فالح محمد الصغير

أستاذ الحديث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. حمد بن عبد المحسن التويجري

أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعه

أستاذ الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء

قواعد النشر في المجلة(*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستقلاً من بحوث سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيتّه.
- أن يشتمل البحث على:
 - صفحة عنوان البحث باللغة العربية
 - صفحة عنوان البحث باللغة الإنجليزية
 - مستخلص البحث باللغة العربيّة
 - مستخلص البحث باللغة الإنجليزيّة
 - مقدّمة
 - صلب البحث
 - خاتمة تتضمن النتائج والتوصيات
 - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية
 - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
 - الملاحق اللازمة (إن وجدت).
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثّه فيه، و (١٠) مستلّات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤوّل حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقياً أو إلكترونياً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحليّة والعالمية - بمقابل أو بدون مقابل - وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنشر في المجلة - في أي وعاء من أوعية النّشر - إلّا بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو) (Chicago).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة:

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

محتويات العدد

م	البحث	رقم الصفحة
(١)	تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَفَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢] والآيتان بعدها - تفسيراً تحليلياً د. علي بن جريد بن هلال العنزي	٩
(٢)	بدء ظهور النفاق في هذه الأمة من خلال القرآن الكريم د. خالد بن عثمان السبت	٧٥
(٣)	الوسائل الإيضاحية غير اللفظية في الروايات التفسيرية د. علي بن عبد الله بن حمد السكاكر	١٣٧
(٤)	أثر القصة القرآنية في تكوين الشخصية الإسلامية د. نبيل بن محمد مرعي سعيد	١٨٩
(٥)	"دراسة لحال" كثير بن عبد الله المزني مع دراسة حديثة لحديث: "الصلح جأز بين المسلمين" د. محمد بن سالم بن عبد الله الحارثي	٢٦١
(٦)	النهج النبوي في مواجهة مشكلات الهجرة دراسة تحليلية د. عواطف علي محمد الجنوبي	٣٢٩
(٧)	رواية الجماعة المبهمين وأثرها في الحكم على الحديث د. عبد الله بن غالي أبو ربيعة السهلي	٣٧٥
(٨)	المسائل العقدية المتعلقة بحديث الكرب د. طارق بن سعيد بن عبد الله القحطاني	٤٤٣
(٩)	أحكام الجاسوس المسلم دراسة فقهية مقارنة د. أحمد علي محمد الغامدي	٥٠٣
(١٠)	الأحكام الفقهية المتعلقة بالظل جمعاً ودراسة د. محمد بن سند الشاماني	٥٣٣
(١١)	جهود علماء أصول الفقه في حفظ مصادر الشريعة الإسلامية نماذج مختارة د. سليمان بن محمد النجران	٥٧٥

أثر القصة القرآنية في تكوين الشخصية الإسلامية

The Impact of The Quranic Story in Forming the
Islamic Character

إعداد:

د. نبيل بن محمد مرعي سعيد

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد بأبها

المستخلص

تناولت هذه الدراسة أثر القصة القرآنية في تكوين الشخصية الإسلامية، وذلك لما لها من دور كبير في بناء الشخصية الكاملة، وهذا الكمال له مكونات ثلاثة، الأول: المكون الإيماني، والمكون العبادي، والمكون الأخلاقي، ثم تناول الباحث تفاصيل هذه المكونات من خلال القصة القرآنية بما يفي بالمقصود، وبالتالي فقد تناول الباحث في المكون الأول: أثر القصة القرآنية في تكوين الشخصية الإسلامية بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ثم خصص المكون الثاني، للعبادات كالصلاة والزكاة والصيام والحج، ثم أفرد المكون الثالث للقيم الأخلاقية، كالصدق، والحلم، والرحمة، والمحبة والشفقة، ودفع السيئة بالحسنة، والوفاء بالوعد، وقبول اعتذار المخطئين، والعفو عند المقدرة، والسمو بالآلام فوق الجراح، والتطلف بالقول، والقول الحسن، والصبر، والرحمة، والرفق بالضعيف، وإعانة المحتاج، والعفاف والحياء والأمانة، وإكرام الضيف، وإيواء الغريب والشريد، والوفاء بالعقود، وهذه المكارم هي الغاية من بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، ومن أهم النتائج التي توصل لها الباحث: أن في القصص القرآني أحد المصادر الأساسية في تكوين الشخصية الإسلامية المتوازنة، ومن أهم التوصيات في البحث: إفراد أبحاثٍ مستقلة لكل قصة، وتُجمع فيها مكونات الشخصية الإسلامية، بدراسة موسعة، وتكون ضمن المناهج الدراسية في مقررات التفسير الموضوعي؛ لما لها من أهمية بالغة، ففي دراسة قصص الأنبياء أسوة وقدوة، وقصصهم لم تذكر للتسلية، بل لأخذ العظة والعبرة.

والله الموفق.

Abstract

This study dealt with the impact of the Quranic story on the development of the Islamic personality, bec

Ause it has a great role in building the complete personality. This perfection has three components: the belief component, the religious component, and the ethical component. The researcher then elaborated these components through the Quranic story. First, the researcher dealt with the first component in terms of the impact of the Quranic story on the Islamic personality by faith in God, His angels, His books, His Messengers and the Day of Resurrection. The second component was devoted to worshipping, such as prayer, zakat, fasting and Hajj. The third component was devoted to moral values such as truthfulness, forbearing, compassionate, mercifulness, kindness to the weak, helping the needy, chastity, modesty, honesty, hospitalizing the guest, and sheltering the stranger, and fulfilling the treaties. All these virtualties are the purpose of the mission of our Prophet (peace be upon him). One of the most important findings could be drawn is that the Quranic stories are one of the main sources in forming and developing the Islamic balanced personality. The main recommendation is that to investigate each Quranic story separately, then the components and elements of Islamic personality can be compiled in a comprehensive study to be included as objective interpretation in the textbooks curricula. Such stories have a great significance in having good examples as they are not mentioned for entertainment, but to take them as an admonition, real lessons and good examples.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فإن القرآن الكريم يستخدم القصة لجميع أنواع التزكية والتربية والتوجيه، التي يشملها منهجه في تكوين الشخصية الإسلامية، والإسلام يدرك هذا الميل الفطري إلى القصة، ويدرك ما لها من تأثير قوي على القلوب، فيستغلها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم والتكوين.

فمن خلال القصة القرآنية نستطيع تقديم مشروع كبير للأمم، يكون له أبلغ الأثر، ويظهر أثر القصة القرآنية في تكوين الشخصية الإسلامية، الفادرة على التمييز بين الحق والباطل، والخير والشر والصواب والخطأ، وإدراك أبعاد الأحداث، وتقرير الحقائق والسنن في الوجود، فالقصة القرآنية أداة لتربية النفوس، وأسلوب فعال في تربية الشخص المسلم، وربط حاضره بماضيه، وتسهم القصة في بناء الجوانب المختلفة للشخصية الإسلامية، وتساعد المربين في النجاح بدعوتهم، وتمدهم ب زاد من أخبار النبيين.

والقرآن الكريم مليء بالقصص ذات العبر، فإذا وعى المسلم نتيجة القصة انطبعت في نفسه توجيهاتها، حيث تنفذ إلى النفس البشرية بسهولة وقناعة، والقصص القرآني يعد من أهم مصادر التأثير والتربية والتهذيب، وإصلاح شأن المجتمعات دينا ودنيا^(١).

وبناءً على ذلك؛ فنحن بحاجة إلى الاستفادة من القصة القرآنية، واستنباط التأثيرات التربوية على الشخصية الإسلامية منها، كون القصة القرآنية إحدى اللبنة الأساسية في تكوين الشخصية الإسلامية، والله تعالى يحثنا على قراءة القصة والاستفادة منها فقال: ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وهذه الآية ختم الله بها أحسن القصص -يوسف عليه السلام- وفيها إشارة كبيرة إلى مكونات شخصيته.

(١) ينظر: الخطيب، جلال الله عمر بن سليمان، "قصص القرآن". (بحث مقدم لنيل الشهادة العالية، كلية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٣هـ)، ص: ٧٢ - ٧١.

ومن هذا المنطلق؛ فقد رأيت أهمية البحث في هذا الموضوع بعنوان: "أثر القصة القرآنية في تكوين الشخصية الإسلامية"، وسوف أعمل على دراسة الأثر الذي تُحدثه القصة القرآنية في العناصر الأساسية للشخصية الإسلامية، فالقصة في القرآن لها أثر بالغ الأهمية على الشخصية الإسلامية، وعلى اتجاهها في الحياة، وعلى تكوينها أيضًا، والله ولي التوفيق.

أولاً: أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الآتي:

- ١- أثر القصة القرآنية على النفوس، فهي ينبوع فياض بالدروس والعبر، والتوجيه والإرشاد في شتى المجالات، ومختلف الجوانب.
- ٢- أن القصة القرآنية من أهم الوسائل التي تؤثر في تكوين الشخصية الإسلامية في شتى جوانبها، وقد استعملها القرآن الكريم في تثبيت الإيمان، والالتزام بالعبادات، والتخلق بالأخلاق العالية، والترغيب والترهيب، وتحقيق الأهداف التربوية في الشخصية الإسلامية التي تُعدُّ من مقاصد الشريعة.
- ٣- تثبيت المعاني في القلوب، وترسيخ المفاهيم في العقول، وتعديل السلوك والإقلاع عن الخطأ.
- ٤- إيصال الحقائق والمعارف إلى الآخرين وتبادلها من خلال الحجة بين الأطراف المتحاور؛ بقصد الوصول إلى التفاهم والاتفاق بين الأطراف قدر الإمكان، ولهذا الموضوع أهمية في تكوين الشخصية الإسلامية من خلال العمل والعبادة والحركة والنشاط الدائم في السعي، وعمارة الأرض، ونشر الخير في الدنيا.
- ٥- بيان صلاحية القرآن الكريم وعظائمه الواسع، وقيامه في كل زمان ومكان بمتطلبات إصلاح الفرد والنهوض بالأمة، وأنه معين لا ينضب لكل مسلم يريد هدىً ونجاحاً.
- ٦- إن القصة القرآنية لم ترد فقط للتسلية، وإنما لأخذ العظة والعبرة، والعمل بما ورد فيها من قيم، وكما أن من أهداف القصص القرآني تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فنحن من باب أولى.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختيار الموضوع إلى ما يأتي:

- ١- ما ذكرته في الأهمية.
- ٢- ضعف القيم الإسلامية عند بعض المسلمين، وبالتالي نحتاج إلى عودة لدراسة القصة القرآنية،

- والاستفادة منها، وتفعيل مكونات الشخصية الإسلامية الواردة فيها.
- ٣- التأثير الهائل للوسائل الحديثة في إضعاف الشخصية الإسلامية في عصرنا الحاضر، ولابد من إبراز دور القصة القرآنية، وأثرها في معالجة هذا الضعف.
- ٤- ظهور القصص والأفلام الهابطة، والشبكات العنكبوتية الإباحية، التي أثرت كثيراً في فقدان مكونات الشخصية الإسلامية، لدى الكثيرين من المسلمين، مما أدى إلى نشر الفساد والرذيلة وتفرغ المسلمين من كل القيم والأخلاق الإسلامية حتى ظهر جيل لا يهتم إلا بشهواته وغرائزه.
- ٥- التنافس الهائل بين القصة الإسلامية وأعدائها، على كسب الرأي العام العالمي المعاصر.

ثانياً: مشكلة البحث:

إن الشخصية الإسلامية في الوقت الحالي لم يعد التوجيه القرآني هو المصدر الوحيد في تكوينها، وتشكيلها؛ لذلك صارت تعاني خللاً كبيراً بفعل غياب هذا التوجيه، ووجود مصادر أخرى - غير القرآن - ساهمت في إضعافها، ويلاحظ هذا الخلل في مفاهيمها الإيمانية العقدية، وتقصيرها في العبادة، وانحرافها في القيم الأخلاقية، كما أننا نلاحظ مشكلة أخرى عند بعض المربين في صياغة الشخصية الإسلامية وفق الجانب العبادي فقط، ويهمل الجانب الأخلاقي، أو الإيماني، والعكس، فتجد الشخص عابداً يفتقد إلى أساسيات الأخلاق في التعامل مع أهله أو في مجتمعه وهذا خلل في تكوينه، ومن أجل استعادة توازن هذه الشخصية، وتكوينها، فعلياً بالعودة إلى القرآن الكريم، ونُعدُّ القصة القرآنية من الوسائل التي يمكن الاستفادة منها في تكوين الشخصية الإسلامية، وبناء على ما سبق يمكن طرح الأسئلة الآتية:

- ١- إلى أي مدى يمكن للقصة القرآنية أن تسهم في استعادة مكونات الشخصية الإسلامية؟
- ٢- كيف للقصة القرآنية أن تقوم بتكوين شخصية إسلامية متوازنة من خلال غرس القيم الإيمانية والتعبدية والأخلاقية؟

رابعاً: أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يأتي:

- ١- الإسهام في الحفاظ على الشخصية الإسلامية ورعايتها، من خلال التذكير بالقصص القرآني؛ كونه أحد المصادر الأساسية في تكوينها.
- ٢- بيان دور القصة القرآنية في تكوين الشخصية الإسلامية المتوازنة من حيث الإيمان، والعبادة،

والأخلاق.

- ٣- إعداد تصور إسلامي معاصر من خلال القصة القرآنية يواجه المتغيرات المتسارعة التي تنسف قيم الشخصية الإسلامية وأخلاقها.
- ٤- إبراز جانب من جوانب البحث حول القصة وتأثيرها في تكوين الشخصية الإسلامية، لم يتم تناوله من قبل - من وجهة نظر الباحث -.

خامساً: الدراسات السابقة:

الدراسات في القصة القرآنية كثيرة ومتنوعة، وعلى الرغم من شدة تحري الباحث وتعقبه وإطلاعه على عناوين ومضامين رسائل وفهارس جامعات كبيرة كجامعة الملك خالد، وجامعة أم القرى، وجامعة الإمام محمد بن سعود، وجامعة القاهرة، ومكتبة المصطفى الإلكترونية، والشبكات العنكبوتية، ومنتدى الكتب المصورة وغيرها، فلم يجد الباحث فيها ما كُتب في هذا الموضوع، أو يشبه هذا البحث لمحاولة استخراج أثر القصة في القرآن الكريم على تكوين الشخصية الإسلامية، والذي تم الاطلاع عليه في الشبكات العنكبوتية بضع رسائل أغلبها في الجامعات الفلسطينية، وهي كالاتي:

- ١- القيم التربوية في القصص القرآني، تأليف: سيد أحمد السيد الطهطاوي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أسيوط، ١٩٨٥م.
- ٢- أثر القصة القرآنية في الدعوة إلى الله، رسالة ماجستير للطالب راشد معيض العدواني، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة، عام ١٩٩٤م.
- ٣- منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، رسالة ماجستير للطالب عبد الرحمن داود جميل عبد الله، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، عام ٢٠١٠م.
- ٤- منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات، رسالة ماجستير للطالب أحمد عبد القادر حسن قطناني، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين - ٢٠١١م.
- ٥- قضايا الأمة وعلاجها في القصص القرآني، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير للطالب عبد اللطيف رجب القانون، الجامعة الإسلامية، غزة، عام ٢٠١١م.
- ٦- منهج القصص القرآني في التربية، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير للطالب سعد الله رمضان إبراهيم قوطة، الجامعة الإسلامية، غزة، عام ٢٠١٥م.
- ٧- قصص القرآن، تأليف: جارالله عمر بن سليمان الخطيب، بحث مقدم لنيل الشهادة العالية، كلية الشريعة - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٣هـ.

هذه الرسائل تتناول جوانب مختلفة في القصص القرآني من الناحية التربوية، أو الدعوية، أو تهذيب الشهوات وغيرها، عدا رسالة قريبة في عنوانها من أحد المباحث الذي تم تناوله، وهي ما يتعلق بمنهج القصة في ترسيخ الأخلاق، ركز الباحث فيها على الأخلاق السيئة التي نعت عنها القصة في الفصل الثاني من البحث، وهذا لم يتم تناوله أبداً في هذا البحث، ثم تناول في الفصل الثالث الأخلاق الحسنة التي حثت عليها القصة القرآنية، كالعفة في قصة مريم، والتوبة في قصة آدم، والنصح في قصص الأنبياء، وير الوالدين والخشية والتوكل، وأغلب ما تم ذكره فيها لم أتناوله في هذا البحث كذلك، سوى إشارة في قصة إبراهيم عليه السلام وبره لأبيه، مع العلم أنني لم أطلع عليها إلا بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث، ولكن هذه الرسالة وغيرها من الرسالة المذكورة أعلاه لم تتضمن الموضوع الرئيس الذي تهدف دراستنا إلى تحقيقه، كما أنه يُعنى بإعادة بناء وتكوين الشخصية الإسلامية من خلال دراستنا لأثر القصة القرآنية في الجانب الإيماني والتعبدية والأخلاقي، بالإضافة إلى ما ذكرناه في مشكلة البحث.

ولا يلزم أن يكون هناك في الدراسات السابقة خطأ أو قصوراً، ولكننا نحرص على تنظيم هذا الموضوع وإخراجه بشكل متكامل يحقق التوازن المطلوب للشخصية الإسلامية، فالحديث فقط عن الأخلاق للشخصية الإسلامية دون بقية مكوناتها حديث منقوص، وهذا ما نواجهه في واقعنا اليوم إذ يهتم المربي في الأخلاق ويهمل العبادة، أو يغلب الاهتمام في العبادات وفيه خلل في التربية الأخلاقية، ومثلها الجانب الإيماني.

سادساً: منهج البحث:

طبيعة هذا البحث تستلزم استخدام المنهج الاستقرائي والاستنباطي^(١)، والمراد من ذلك القيام بتتبع الجزئيات للوصول إلى الكليات، والانتقال من قضية أو عدة قضايا للوصول إلى النتائج.

إجراءات البحث:

١- تناول بعض الآيات والمواقف المتعلقة بالقصة القرآنية، التي نتحدث عن موضوع البحث أو تشير لجانب من جوانبه، مع استنباط العناصر الأساسية للشخصية الإسلامية، ووضع العناوين المناسبة

(١) المنهج الاستقرائي: هو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها سواء كانت أحكاماً أو ظواهر للوصول إلى الكليات، والمنهج الاستنباطي: طريق منطقي يتضمن انتقال ذهن من قضية أو عدة قضايا مسلم بها إلى قضية تعد نتيجة. أ.د. حسين مطاوع الترتوري، "المعين في كتابة الرسائل العلمية وتحقيق المخطوطات". جامعة الخليل، (ط١)، الرياض: دار الناشر الدولي للنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ص: ٧٣-٧٩.

لذلك.

- ٢- إبراز تأثير القصة في القرآن الكريم في أسلوب بليغ، وبيان واضح بلا تكلف أو غموض، والالتزام بتوثيق مادة البحث وشواهد، مع تدوين نتائج ما توصل إليه الباحث في الخاتمة.
- ٣- إبراز الجوانب التي تناولتها القصص القرآنية من ناحية تكوين الشخصية الإسلامية.
- ٤- الاختصار على ما يفي بالغرض المطلوب من هذا البحث، مكتفياً بذكر بعض المواقف من قصص الأنبياء، والصالحين، دون الاستطراد في بيان جميع المستفاد من القصص القرآني في النواحي الإيمانية والعبادية والأخلاقية.
- ٥- أوثق النقل وأعزوه إلى من نقلت عنه في الهامش، بذكر اسم المؤلف والكتاب بالجزء والصفحة، وفي حالة النقل بالمعنى: يصدر العزو بكلمة: ينظر.

سابعاً : خطة البحث :

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى :

- مقدمة، وتتضمن:** أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهجه، وخطته.
- التمهيد:** ويتضمن التعريف بمصطلحات البحث، وفيه: تعريف الأثر، والقصة، والشخصية، والتكوين، والشخصية الإسلامية ومكوناتها.
- ثلاثة مباحث، وخاتمة، على النحو الآتي:**
- المبحث الأول:** أثر القصة القرآنية في التكوين الإيماني، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: أثرها في تكوين الإيمان بوجود الله تعالى، وتوحيده.
- المطلب الثاني: أثرها في تكوين الإيمان بالملائكة.
- المطلب الثالث: أثرها في تكوين الإيمان بالكتب.
- المطلب الرابع: أثرها في تكوين الإيمان بالرسل.
- المطلب الخامس: أثرها في تكوين الإيمان بإحياء الموتى.
- المطلب السادس: أثرها في تكوين الثبات على الدين.
- المبحث الثاني:** أثر القصة القرآنية في التكوين العبادي - أمهات العبادات نموذجاً، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثرها في عبادة الصلاة.

المطلب الثاني: أثرها في عبادة الزكاة.

المطلب الثالث: أثرها في عبادة الصيام.

المطلب الرابع: أثرها في عبادة الحج.

المبحث الثالث: أثر القصة القرآنية في التكوين الأخلاقي، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أثرها في وصايا الوالد في التكوين الأخلاقي.

المطلب الثاني: أثرها في حسن التعامل مع الوالدين.

أولاً: قصة إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه.

ثانياً: قصة إسماعيل -عليه السلام- مع أبيه.

المطلب الثالث: أثرها في حسن التعامل مع الإخوة -قصة يوسف -عليه السلام- - أنموذجاً.

المطلب الرابع: أثرها في حسن التعامل مع صاحب العمل - قصة موسى -عليه السلام- - أنموذجاً.

الخاتمة: وفيها بيان نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث ومكونات الشخصية الإسلامية.

أولاً: تعريف الأثر:

الأثر لغة: بالتحريك، ما بقي من رسم الشيء، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء: ترك فيه أثراً^(١)، قال ابن منظور: الأثر: ما بقي من رسم الشيء^(٢). والأثر بالضم: من الجرح وغيره في الجسد يبرأ ويبقى أثره^(٣).

الأثر اصطلاحاً: قال الجرجاني: الأثر بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء^(٤). ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي يظهر أن الأثر هو: العلامة على وجود شيء ما. والمقصود في هذا البحث ما تحدثه القصة القرآنية في تكوين الشخصية الإسلامية من الآثار والتغيرات الجوهرية في الإيمان، والتحول الإيجابي في العبادات، والتحديث والتجديد في الأخلاق.

ثانياً: تعريف القصة:

القصة لغة: تأتي بمعنى الحكاية^(٥)، والخبر^(٦)، والشأن^(٧)، وقصصت الشيء، إذا تتبعته أثره شيئاً بعد شيء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ لَأُخْبِتَنَّهُ فُصَيْهٌ﴾ [القصص: ١١]، أي: اتبعني أثره^(٨)،

(١) الفارابي، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٢: ٥٧٥. وينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، "لسان العرب". (ط٦)، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٨ م، مادة (أثر) ٥٢/١.

(٢) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ١: ٥٢.

(٣) الزبيدي، "تاج العروس". (الناشر: دار الهداية)، ١٠: ١٦.

(٤) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، "التعريفات". تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ١: ٩.

(٥) محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، "معجم لغة الفقهاء". (ط٢)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ١: ٣٦٤.

(٦) ابن منظور، "لسان العرب". ١٢: ١٢١. ومحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية)، ١٨: ١٠٤.

(٧) مجموعة من الباحثين، "المعجم الوسيط". مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (الناشر: دار الدعوة)، ٢: ٧٤٠.

(٨) الزبيدي، "تاج العروس"، ١٨: ٩٨. والفارابي، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤)، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، ٣: ١٠٥١.

والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب^(١).

القصة اصطلاحاً: للقصة تعاريف كثيرة لدى كثير من المفسرين، والمعاصرين^(٢) نذكر بعضاً منها:

عرفها الرازي فقال: "مجموع الكلام المشتغل على ما يهدي إلى الدين ويرشد إلى الحق ويأمر بطلب النجاة"^(٣). وعرفها ابن عثيمين - رحمه الله -: "الإخبار عن قضية ذات مراحل يتبع بعضها بعضاً"^(٤)، كما عرفها أبو بكر الجزائري - رحمه الله تعالى - في تفسيره فقال: "بأن القصص: هو إتباع الحديث أو الكلام بعضه بعضاً"^(٥).

ثالثاً: تعريف قصص القرآن:

قصص القرآن: إخبار القرآن عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة^(٦). والذي يبدو أن التعريف الاصطلاحي للقصة في القرآن الكريم أنها: أخبار الأمم الماضية، والحوادث الغابرة التي ذكرها الله في كتابه للعظة والعبرة والتشبيث. والمراد من ذكر القصة في القرآن الكريم، هو: تنويع أسلوب الدعوة لنشاهد صوراً ناطقة ومشاهدة حياة للأمم سبقت وكيف كانت بدايتها، وبم ختمت نهايتها، وهي لا تختلف إلا يسيراً عما هم يعيشونه من أحداث الدعوة والصراع الدائر بين الحق والباطل^(٧)، فالقصة القرآنية صالحة للاعتبار والاستشهاد في كل زمان ومكان، ولا عجب، فهي جزء من هذا القرآن الذي هو موعظة دائمة، ورسالة خالدة لا تنفذ خزائنه، ولا تنقضي عجائبه، والقصة في القرآن حقيقة وليست خيالاً،

(١) الفارابي، "الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية"، ٣: ١٠٥١.

(٢) عبد الكريم الخطيب، "القصص القرآني في منظومه ومفهومه". (بيروت، لبنان)، (د. ت) ص ٤٠.

(٣) الرّازي، مُحَمَّد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الشافعي، "مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير". (ط٣)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ، ٨: ٢٥٠.

(٤) ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، "تفسير الفاتحة والبقرة". (ط١)، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣ هـ، ١: ٥٧. وأصول في التفسير، لنفس المؤلف، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، (ط١)، السعودية: المكتبة الإسلامية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ١: ٥٠.

(٥) أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير". (ط٥)، السعودية: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ٢٠٠٣ م، ٢: ١٦٩، حاشية.

(٦) د. مناع القطان، "مباحث في علوم القرآن". (ط٢)، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩ م، ص: ٣٠٦.

(٧) أبو بكر الجزائري، "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير"، ٢: ١٨٧. حاشية.

وبالتالي فإن ما فيها عبرة وعظة؛ للاقتداء والتطبيق، وتكوين الشخصية الإسلامية على ضوءها، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢].

فالقصة في القرآن ليست لقتل الوقت؛ ولكن الهدف الأسمى منها: هو تثبيت حركة الحياة الإيمانية ونفعها، ولو نظرنا إلى قصص القرآن الكريم نجد أنها تتحدث عن أشياء مضت وأصبحت تاريخاً، والتاريخ يربط الأحداث بأزمانها.

رابعاً: تعريف التكوين:

التكوين لغة: الكون: الحدث، وكونه فتكون: أحدثه فحدث، والله مكوّن الأشياء يخرجها من العدم إلى الوجود^(١)، قال الزبيدي: "وكونه تكويناً: أحدثه؛ وقيل: التكوين: إيجاد شيء مسبق بمادة، وكون الله الأشياء تكويناً: أوجدها، أي أخرجها من العدم إلى الوجود"^(٢). ومن خلال التعريفات اللغوية يظهر أن التكوين بمعنى: الإيجاد، والإحداث، ومنه يُقال: فلان كوّن نفسه، أي: بناء نفسه بنفسه من العدم حتى أصبح مختلفاً عن الآخرين فيما يمتلكه في الوجود.

ولم أقف على تعريف للتكوين في الاصطلاح، ولكن يتضح من التعريف اللغوي أن التكوين مصدر كوّن، وهو: عبارة عن إخراج الإنسان من عدمه إلى وجوده الإيماني والتعبدية والأخلاقي، وضمها إلى بعضها، حتى يصبح إنساناً إسلامياً، وشاهده قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

خامساً: تعريف الشخصية:

الشخصية لغة: مأخوذة من "الشخص" وهو: سواد الإنسان وغيره إذا رأيته من بعيد، والشخص: كل جسم له ارتفاع وظهور^(٣). والشخص: لا يطلق إلا على الجسم^(٤).

(١) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ١٣: ١٣٦.

(٢) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس". مجموعة من المحققين، (دار الهداية)، ٣٦: ٧١.

(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، ٨: ٣٦. أحمد ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م)، ٣: ٢٥٤. الخليل بن أحمد الفراهيدي، "كتاب العين". تحقيق: مهدي المخزومي، والسامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، ٤: ١٦٥.

(٤) الكنوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني، أبو البقاء الحنفي، "الكليات". تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص: ٣٤٤.

والشخصية الإسلامية: شخصية إنسانية تمثلت روح القرآن، وبرزت مكوناتها على النحو الآتي: عقلية تصدر في نمط تفكيرها، وتحدد مساراتها، وتحكم شؤون حياتها على أساس الإسلام، عقيدة وشريعة وأخلاقاً...^(١).

ويرى الباحث أن الشخصية الإسلامية هي: التي تؤمن وتلتزم بالقيم والأحكام التي جاءت في كتاب الله، وسنة رسوله -ﷺ-، سواءً أكانوا أفراداً أم جماعات. فالشخصية الإسلامية مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية.

وتكوين الشخصية -مركب من كلمتين-، يقصد بها في مصطلح البحث: إخراج شخصية من عدمها إلى وجودها الإيماني والعبادي والأخلاقي، ويضم بعضها إلى بعض حتى تتكون منه حقيقة الشخصية الإسلامية المثالية التي تمثل القدوة المرجوة، ويهدف هذا الإخراج إلى تغيير كامل في سلوكيات ومعتقدات وأخلاق هذا الشخص وفق الشريعة الإسلامية. "والقصص القرآني يجسد شخصيات مثالية، فالأنبياء جعل منهم القرآن نماذج إنسانية عالية، ومع ذلك كان يشير إلى ما يلم ببعضهم عليهم السلام من لحظات الضعف البشري، دون مداراة حتى لا يغلو بهم أحد إلى مرتبة الألوهية؛ - صنيع بعضهم في عيسى عليه السلام - ليعرض النفس البشرية كما هي في قوتها وضعفها"^(٢).

سادساً: مكونات الشخصية الإسلامية:

الأصل في تكوين الشخصية الإسلامية أن تكون مشتملة على القيم والمبادئ التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- من ناحية الإيمان، والعبادة والأخلاق. ومن المقاصد الكلية للدين الإسلامي الحنيف؛ المحافظة على الشخصية الإسلامية وتكريمها، وما التزم قوم بهذه القيم الحميدة إلا عاشوا في حياة طيبة، فهي القلب الذي يسطع منه نور الترابط والتعاون بين الأفراد والشعوب، ولقد جاء منهج هذا الدين في تربية الشخصية الإسلامية منهاجاً قوياً، وطريقاً واضحاً، وسبيلاً مُحْكَمًا، فقد حدد معالم الشخصية الإسلامية على ضوء كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ-، ورسم ملامحها، وأثبت دعائمها، وأرسى قواعدها منذ انبثقت شمس هذا الدين، فكانت نقطة تحول في تاريخ البشرية، غيّرت المعتقدات وبدلت المناهج، ونورت البصائر والأبصار، وسلكت بالناس الطريق المستقيم.

(١) باسمه العسيلي، "بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة". (ط ١، بيروت: دار الفكر)، ص: ٢٤٨.

(٢) أ.د. فهد الرومي، "دراسات في علوم القرآن". (ط ١، السعودية: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٩م)، ص: ٦١٦.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن مكونات الشخصية الإسلامية تتمثل في الآتي:

المكون الأول: الإيمان، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر؛ فالعقيدة الصحيحة تصل المؤمن بخالقه؛ فيرضى به ربًّا، وحاكمًا مشرِّعًا؛ فيطمئن قلبه، وينشرح صدره للإسلام؛ فلا يبغى عنه بديلاً، وبهذا تتكون الشخصية الإسلامية والأمة القوية التي تبذل كلَّ غالٍ ورخيص في تثبيت دينها، وتوطيد دعائمها، غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك^(١)، وتشمل العقيدة الإسلامية الإيمان بكل ما جاء عن الله -ﷻ-، وعن رسول الله -ﷺ- من الأخبار، والأحكام القطعية، وسائر الغيبات، وما أجمعت عليه الأمة الإسلامية، ونحو ذلك. ففي كتاب الله تعالى قال: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

المكون الثاني: العبادة، فهي إحدى مقومات الشخصية الإسلامية، وتكوين العبادة في الشخصية الإسلامية مكمل للتكوين الإيماني، إذ إن العبادة تغذي الإيمان بروحها، كما أنها المنعكس الذي يعكس صورة العقيدة ويجسدها، ولكي يظل غرس الإيمان قويًا في النفس، لا بد أن يسقى بماء العبادة، بمختلف صورها وأشكالها؛ فبذلك ينمو الإيمان في القلب، ويتعرع، ويثبت أمام العواصف المختلفة في الحياة.

المكون الثالث: الأخلاق، ويُعدُّ هذا المكون صورةً للشخصية الإسلامية؛ لأنها الضابط والمعياري الأساسي للسلوك الفردي والاجتماعي، أو القواعد الأساسية الممنوحة من الله للإنسان لتنظيم حياته، وهي تنتظم فيما يسمى بالبناء الخلقي الذي يعكس أهداف المجتمع، ومصادره وتكوينه وطبيعته بنائه.

فالمنهج الأخلاقي في الإسلام هو: "مجموعة الصفات والقواعد الواردة في النصوص الشرعية، التي تنظم حياة الإنسان من حيث علاقته بغيره"^(٢).

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ

(١) ينظر: ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، "مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين". باب: أهداف العقيدة الإسلامية، (الموسوعة الشاملة)، ٥: ١٤٥.

(٢) المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، (الموسوعة الشاملة)، ص: ٩.

فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧]، فهذه الآية: بينت حقيقة تكوين الشخصية الإسلامية المطلوبة، قال الزرقاني: " فقد احتوت هذه الآية أرقى وأوفى ما عرفت البشرية وعرف التاريخ من هدايات الله والناس، وانتظمت كل ما يحتاج إليه الخلق في العقائد، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات على اختلاف أنواعها، وجمعت بين مصالح البشر في العاجلة والآجلة، ونظمت علاقة الإنسان بربه، وبالكون الذين يعيش فيه، ووفقت بطريقة حكيمة بين مطالب الروح والجسد" (١).

فأساس تكوين الشخصية تتمثل في هذه الآية، قال البيضاوي: " والآية كما ترى جامعة للكمالات الإنسانية بأسرها، دالة عليها صريحاً أو ضمناً، فإنها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة أشياء: صحة الاعتقاد، وحسن المعاشرة، وتهذيب النفس وقد أشير إلى الأول بقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَ بِكَ وَالْكَذِبِ وَالنِّيَاسِ﴾، وإلى الثاني بقوله: ﴿وَعَاقَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَنْزَلَ السَّلِيلَ وَالسَّائِلِينَ فِي الرِّقَابِ﴾، وإلى الثالث بقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ إلى آخرها؛ ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظراً إلى إيمانه واعتقاده بالتقوى، اعتباراً بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق. وإليه أشار بقوله عليه السلام: «من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان» (٢) (٣).

(١) الزُّرْقَانِي، محمد عبد العظيم، "مناهل العرفان في علوم القرآن". (ط ٣، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ٢: ١٢٤.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة عن وكيع عن علي بن صالح عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة، قال: من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان وذكر الآية ... ينظر: ابن أبي شيبة، أبي بكر ابن أبي شيبة، "الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار". تحقيق: كمال يوسف الحوت، (ط ١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ)، برقم (٣٤٩٠٥)، ٧: ١٥٢. وأخرجه ابن المنذر في تفسيره عن أبي ميسرة، ينظر: المناوي، زين الدين محمد المدعو عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، "الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي". تحقيق: أحمد مجتبى، (الرياض: دار العاصمة) ١: ٢١٣. ولم أجده في تفسير ابن المنذر. وله شواهد أخرى كحديث أبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان: فقرأ عليه هذه الآية وصححه الألباني، ينظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، "كتاب الإيمان". تحقيق: محمد بن ناصر الدين الألباني، (ط ٤، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ) ص ٨٥.

(٣) ينظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ)، ١: ١٢١.

قال الألوسي: "والآية كما ترى مشتملة على خمس عشرة خصلة، وترجع إلى ثلاثة أقسام، فالخمس الأولى منها تتعلق بالكمالات الإنسانية التي هي من قبيل صحة الاعتقاد، وآخرها قوله: ﴿وَالنَّبِيِّينَ﴾ وافتتحها بالإيمان بالله واليوم الآخر لأنهما إشارة إلى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة فيلتئم مع ما نفاه أولاً غاية الالتئام، والستة التي بعدها تتعلق بالكمالات النفسية التي هي من قبيل حسن معاشرة العباد وأولها ﴿وَأَتَى الْمَالَ﴾ وآخرها ﴿وَبِالرِّقَابِ﴾، والأربعة الأخيرة تتعلق بالكمالات الإنسانية التي هي من قبيل تهذيب النفس وأولها ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ وآخرها ﴿وَوَحَّيْنَ الْبَاسِ﴾ ولعمري من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان ونال أقصى مراتب الإيقان^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهِ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥]

نجد في هذه الآية توجيهه بالعبادة ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾، ودعوة إلى الإيمان بالله وحده ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهِ غَيْرُهُ﴾ لكي يثمر ذلك معالجة في الحلل الاقتصادي: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾، فكانت دعوة الأنبياء قائمة على تكوين الشخصية الإسلامية بمكوناتها الثلاثة.

ومما سبق يمكن تعريف مكونات الشخصية الإسلامية بأنها: الأسس والمرتكزات الإيمانية والتعبدية، والأخلاقية، التي تمثل ضوابط بناء الشخصية الإسلامية ومعايير فكرها وسلوكها. فكمال الشخصية الإسلامية تتحقق بتحقيق مكوناتها، فهي بحاجة إلى تكميل بالإيمان بالله، وتهذيب بالعبادات، وتقويم بالأخلاق الحسنة، فإذا تكون في الشخصية الإسلامية الجانب الإيماني والعبادي والأخلاقي، اكتملت وأصبحت النموذج الأمثل في العالم المعاصر. **والخلاصة،** فإن الشخصية الإسلامية المتكاملة بجميع مكوناتها هي التي تتكون منها القاعدة الصلبة التي يقوم عليها المجتمع المسلم، وبذلك تكون هذه الشخصية قادرة على إطلاق حركة التنمية الشاملة في شتى مجالات الحياة.

(١) الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق: ماهر حبوش، (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م)، ٣: ١٠٣-١٠٤.

المبحث الأول: أثر القصة القرآنية في التكوين الإيماني.

توطئة:

من أهداف القصة القرآنية: الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالبعث وتثبيت أسس العقيدة الإسلامية في النفوس، وذلك من خلال ذكر قصص الأنبياء ودعوتهم إلى هذا^(١). وتظهر أثر القصة القرآنية في تكوين الشخصية الإسلامية في تقويم النفوس، وإصلاح القلوب، وبناء الفرد الصالح القادر على حمل التكليف الشرعية، واستخدام القصص القرآني كل وسائله وأساليبه؛ لترسيخ الإيمان الصحيح النقي، والدفاع عنه، ورد شبهات الكافرين، وبيان فساد أقوالهم وأعمالهم؛ نظرًا لفساد معتقداتهم.

كما أقام القصص القرآني منهجه على العقيدة، بنبد عقيدة الشرك وغرس عقيدة الإيمان بالله وحده، وبذلك وحده يقتلع الإنسان من نفسه عاداته الفاسدة وينقاد لمبادئ الإسلام الصحيحة، فالإيمان سمو بالنفس، واتصال بالله، وتكوين للشخصية المتزنة، وتلك هي الشخصية المتكاملة كما يسميها علماء التربية^(٢)، قال مصطفى فهمي: "وهي التي يتسم سلوكها وتصرفاتها ودوافعها بالانزان الانفعالي"^(٣)، وبهذا يُعدُّ القصص من أهم وسائل التربية القرآنية توجيهًا وتعليمًا وترسيخًا للعقيدة^(٤). لذلك استخدم القرآن القصة القرآنية في بيان معاني الإيمان، وغرسه في الشخصية الإسلامية، وقد بين الله تعالى غايات القصص القرآني فقال -ﷻ-: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنِثِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، [سورة هود. آية: ١٢٠]، وقال -ﷻ-: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي فَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، ففي الآية الأولى قال: ﴿وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي الثانية قال: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾؛ إشارة إلى أن الحكمة من إيرادها تكمن في تعزيز الإيمان بالله جل وعلا، فمن خلال القصة القرآنية، تتحقق غايات عظيمة في ترسيخ معاني الإيمان، وغرسه في القلوب، والمتأمل في القصص القرآني يجد أنها ركزت على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والإيمان باليوم الآخر، وقدرته على إحياء الأنفس، والبعث بعد الفناء.

(١) أ.د. فضل حسن عباس، "قصص القرآن الكريم". (ط ٣، دار النفائس، ٢٠١٠م)، ص: ٤٤.

(٢) ينظر: أ.د. فهد الرومي، "دراسات في علوم القرآن"، ص ٦١٤.

(٣) مصطفى فهمي، "الصحة النفسية". (ط ٢، القاهرة، ١٩٥٥م)، ص: ٢٨١.

(٤) ينظر: د. نقرة التهامي، "سيكولوجية القصة في القرآن". (الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٤م)، ص: ٥٧٢-٥٨٥.

وفيما يأتي تعريف الإيمان وبيان أثر القصة القرآنية على تكوينه في الشخصية الإسلامية:

تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً:

الإيمان لغة: قال ابن فارس: "(أمن) الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق"^(١)، وقال الكفوي: "والإيمان المعدى إلى الله: معناه التصديق الذي هو نقيض الكفر، فيعدي بالباء، لأن من دأبهم حمل النقيض على النقيض، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي بمصدق"^(٢).

الإيمان شرعاً: عرفه الجرجاني بقوله: "هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان"^(٣).

ومن خلال التعريف اللغوي والشرعي يتضح أن المقصود بالإيمان: هو قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة^(٤). ويمكن لنا من خلال المطالب الآتية بيان أثر القصة في تكوين الشخصية الإسلامية إيمانياً:

المطلب الأول: أثرها في تكوين الإيمان بوجود الله تعالى، وتوحيده.

في كثير من قصص الأنبياء تعريف للشخصية الإسلامية بأن وجود الله، وتوحيد الألوهية هو أول ما يدعو إليه الرسل أقوامهم، فقال هود لقومه: ﴿قَالَ يَنْفَوْرٍ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال صالح لقومه: ﴿قَالَ يَنْفَوْرٍ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال شعيب لقومه: ﴿قَالَ يَنْفَوْرٍ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وفي القصص السابقة إشارة إلى أن دين الجماعة الإسلامية واحد؛ وعقيدتهم واحدة^(٥)، ورب واحد، وإله واحد، تتكرر فيها مواقف الدفاع عن العقيدة الحقة، والدعوة إلى توحيد الله سبحانه وإثبات توحيد الألوهية، وقد تكررت القصص نفسها في (الأعراف وهود والشعراء)، وفي

(١) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ١: ١٣٣.

(٢) الكفوي، "الكليات"، ١: ٢١٣. وذكر الجرجاني أن الإيمان في اللغة: التصديق بالقلب، الجرجاني، "التعريفات"، ١: ٤٠.

(٣) الجرجاني، "التعريفات"، ١: ٤٠. وينظر: الكفوي، "الكليات"، ١: ٢١٣.

(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، "العقيدة الواسطية"، ١: ٢٤.

(٥) الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله، شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، أوصاف الفرق الناجية، ١: ١٦.

سورة المائدة قال عيسى لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢: ٧٣]، وتستفيد الشخصية الإسلامية مما سبق، أن كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" هي دعوة الرسل أجمعين، وهي عنوان التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وفيما يأتي مواقف من القصص القرآني لها أثر في تكوين الشخصية الإسلامية:

أولاً: قصة إبراهيم - عليه السلام - في هذه القصة تعريف للشخصية الإسلامية بوجود الله سبحانه وتعالى، وأنه المتفرد بمنح الحياة، وسلبها بالموت، وفيما يأتي بيان ذلك.

قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه: وفيها بيان لإثبات وجود الله بأروع الأساليب فقال الله على لسان إبراهيم بعد الاحتجاج عليهم بالكواكب: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨﴾ [إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض خنيئاً وما أنا من المشركين] [الأنعام: ٧٨: ٧٩].

قال ابن جرير الطبري: "وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن خليله إبراهيم عليه السلام، أنه لما تبين له الحق وعرفه، شهد شهادة الحق، وأظهر خلاف قومه أهل الباطل وأهل الشرك بالله، ولم يأخذه في الله لومة لائم، ولم يستوحش من قيل الحق والثبات عليه، مع خلاف جميع قومه لقوله وإنكارهم إياه عليه، وقال لهم: يا قوم، إني بريء مما تشركون مع الله الذي خلقني وخلقكم في عبادته من آلهتكم وأصنامكم، إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السموات والأرض، الدائم الذي يبقى ولا يفنى، ويحيي ويميت، لا إلى الذي يفنى ولا يبقى، ويزول ولا يدوم، ولا يضر ولا ينفع. ثم أخبرهم تعالى ذكره أن توجيهه وجهه لعبادته بإخلاص العبادة له والاستقامة في ذلك لربه على ما يجب من التوحيد، لا على الوجه الذي يوجه له وجهه من ليس بحنيف، ولكنه به مشرك، إذ كان توجيهه الوجه لا على التحنيف غير نافع موجهه، بل ضاره ومهلكه. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩] يقول: ولست منكم أي لست ممن يدين دينكم، ويتبع ملتكم أيها المشركون" (١).

قال ابن عاشور: "فقد جاء إبراهيم بالتوحيد، وأعلنه إعلاناً لم يترك للشرك مسلكاً إلى نفوس الغافلين" (٢).

قصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود: كما في قوله -عليه السلام-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي

(١) ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق: أحمد عبد الرزاق وآخرين، (٢ط، دار السلام، ٢٠٠٧م)، ٤: ٣٢٤١.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، "التحرير والتنوير". (الدار التونسية للنشر - تونس)، ٣: ٢٧٥.

رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ [البقرة: ٢٥٨]، الاستفهام في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ للتعجب والإنكار، وقيل: الهمزة للاستفهام التعجبي التقريري^(١)، من الذي حاج إبراهيم في ربه، أي في وجود ربه؛ لأن النمرود أنكر أن يكون هناك إله غيره، ثم رد عليه إبراهيم -عليه السلام- في قوله: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، واستخدام الجملة الاسمية هنا أبلغ في بيان الشأن الثابت الدائم المستمر؛ لأنها تدل على الدوام والثبوت، والغرض من هذا الأسلوب هو لفت أنظار الشخصية الإسلامية إلى حقيقة أن المتصرف في الكون، والذي ينبغي أن يقصد هو رب واحد وهو الله تعالى الذي بيده الموت والحياة. قال مقاتل: "فبهت الجبار الذي كفر بتوحيد الله - عز وجل - يقول بهت نمرود الجبار فلم يدر ما يرد على إبراهيم"^(٢). وقال ابن كثير -رحمه الله- في قوله: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: "إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها، وعدمها بعد وجودها، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة؛ لأنها لم تحدث بنفسها، فلا بد لها من موجد أوجدها، وهو الرب الذي أدعو إلى عبادته وحده لا شريك له"^(٣).

ثانيًا: قصة يوسف عليه السلام في السجن، وفيها أعظم الأثر في بيان أهمية التوحيد، ونبذ الشرك، وعرض الدعوة إلى ذلك بالطف تعبير، وأعمق تأثير، في كل الأحوال، فقد قام يوسف عليه السلام بواجبه في الدعوة إلى توحيد الله، والتحذير من الكفر به، رغم أنه مسجون ظلمًا، فكونه في السجن لا يعفيه من واجب الدعوة إلى الله، فقال تعالى على لسانه: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا عَلَّمَنِي رَبِّيَ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ

(١) ينظر: المراغي، أحمد بن مصطفى، "تفسير المراغي". (ط ١)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، ١: ٢١١. محمد سيد طنطاوي، "التفسير الوسيط". (ط ١)، القاهرة: دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ٢: ٢٠. وينظر: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي المرري الشافعي، "تفسير حقائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن". إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، (ط ١)، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ٤: ٥٤.

(٢) مقاتل بن سليمان، "تفسير مقاتل"، ١: ٢١٥.

(٣) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (ط ٢)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ١: ٦٨٦.

فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنُ وَأَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّحْدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿يوسف ٣٧ : ٤٠﴾، قال مقاتل: "﴿إِنْ الْحُكْمُ﴾ يعني القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ في التوحيد ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ يقول أمر الله أن يوحد ويعبد وحده، له التوحيد" ^(١). فأخبرهما أن ربه هو غير ربهما هما، ثم أخبرهما بما عليه قومهما من كفر بالله، وإنكار للآخرة، وبسبب وقوفه على حقيقة ضلال القوم، فقد ترك ملتهم، وتحلى عن باطلهم، وترفع عن انحرافهم، إنه سليل بيت نبوة، وإن آباءه أنبياء كرام، عليهم الصلاة والسلام، ولذلك اتبع ملتهم الصحيحة، إبراهيم وإسحاق ويعقوب موحدون لله، وهو متابع لهم في توحيد الله، وما كان له أو لهم أن يشركوا بالله، كما يفعل هؤلاء القوم ^(٢).

ثالثاً: قصة لقمان، وفيها يظهر الاهتمام بتربية الآباء أبنائهم على التوحيد كما في وصية لقمان لابنه فقال - ﷺ -: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان ١٣ : ١٦]. ففي القصة وصايا في تكوين الشخصية الإسلامية، تبدأ بتوحيد الله والنهي عن الشرك، ثم مراقبة الله سبحانه. قال الشوكاني في تفسيره: "وبدأ في وعظه بنهي عن الشرك لأنه أهم من غيره" ^(٣).

قال د. وهبة الزحيلي - رحمه الله - في تفسيره: "أوصى لقمان ابنه بوصية أو موعظة، حرصاً عليه؛ لأن الأب يحب ابنه، وهو أشفق الناس عليه، فقال له: يا ولدي اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، فإن الشرك أعظم الظلم، أما إنه ظلم فلكونه وضع الشيء في غير موضعه، وأما كونه أعظم الظلم فلتعلقه بأصل الاعتقاد وتسويته بين الخالق والمخلوق، وبين المنعم وحده و غير المنعم أصلاً، وهي الأصنام والأوثان" ^(٤).

(١) مقاتل بن سليمان، "تفسير مقاتل"، ٢ : ٣٣٤.

(٢) ينظر: أ.د. فضل حسن عباس، "قصص القرآن"، ص ١٤٥-١٤٦ بتصرف يسير.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، "فتح القدير". تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، (ط١)، بيروت: دار ابن حزم، ٢٠١٤م)، ٤ : ٣١٢.

(٤) الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، "التفسير المنير، في العقيدة والشرعة والمنهج". (ط١٢)، دمشق: دار الفكر، ٢٠١٤م)، ١١ : ١٦٠.

رابعاً: قصة الهدهد: تلك القصة التي يقصها القرآن الكريم من خلال قول الله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۚ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۚ ۝٢٣ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ ۝٢٤ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۚ﴾ [النمل: ٢٣: ٢٦].

يقول: "وجدت هذه المرأة ملكة سبأ، وقومها من سبأ، يسجدون للشمس فيعبدونها من دون الله - عز وجل - وحسن لهم إبليس عبادتهم الشمس، وسجودهم لها من دون الله - عز وجل، وحجب ذلك إليهم؛ فمنعهم بتزيينه ذلك لهم أن يتبعوا الطريق المستقيم، وهو دين الله - عز وجل - الذي بعث به أنبياءه - عليهم السلام -، ومعناه: فصدهم عن سبيل الحق؛ فهم لما قد زين لهم الشيطان ما زين من السجود للشمس من دون الله والكفر به لا يهتدون لسبيل الحق ولا يسلكونه، ولكنهم في ضلالهم الذي هم فيه يترددون" (١).

قال أبو زهرة: "وقد يجيء الدليل أحياناً في قصص القرآن على لسان حيوان في قصة، فيكون ذلك غرابة تستعري الذهن، وتثير الانتباه وتملأ النفس إيماناً بالحقيقة، وترى من هذا أن دليل التوحيد جاء على لسان الهدهد في أوجز عبارة، وأوضح إشارة، فينبه إلى بطلان عبادة الشمس من دون الله - عز وجل - لأنها لا تؤثر في الإبداع والإنسان بذاتها، ويبيّن أن ذلك الضلال للإنسان، إنما هو من تزيين الشيطان الفاسد الأفكار، وجعلهم يبتعدون عن حكم الفطرة الإنسانية، وهو أن يسجدوا لله تعالى الذي يخرج المخبوء من البذور والنوى، وكل أسباب الوجود، وهي مختفية عن الشمس وضوئها، فإذا كان لها تأثير ظاهري في الظاهر الذي خرج من الخبء، فما يكون تأثيرها فيما هو خبء، لا تأثير لها فيه لا ظاهراً ولا خفياً" (٢).

ويتضح مما سبق أثر قصة إبراهيم ويوسف ولقمان والهدهد في تكوين الشخصية الإسلامية بالتوحيد لله عز وجل ووجوده، وعلى المتأمل لهذه القصص أن ينقل هذا الفهم إلى واقع عملي إيماني

(١) ينظر: ابن جرير الطبري، "جامع البيان"، ٨: ٦٢٨٠، الواحدي، "التفسير الوسيط". تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)، ٣: ٣٧٥. ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٦: ١٨٧.

(٢) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، "المعجزة الكبرى القرآن". (دار الفكر العربي)، (د. ت) ص: ٢٧١.

صادق بالله جل وعلا ويربي عليه أبناءه وأهله ومجتمعه، ويجعل من مثل هذه المواقف مصدر إلهام لتكوين الشخصية الإسلامية على أسس الإيمان بالله جل وعلا، ويعالج الخلل المعاصر في تشكيل شخصية المسلم، فأصبح الكثير منهم في غياب عن هذا التوجيه، وبسببه يقع في الشرك ودعوة غير الله، والخوف من غيره، والاتكال على من سواه، ولو آمن بالله حق الإيمان لجعل وجهته لله وحده لا شريك له.

المطلب الثاني: أثرها في تكوين الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان بالله جل وعلا، ولا يتحقق الإيمان بدونه، وقد ورد في القصص القرآني ما يشير إلى ذلك، إبراهيم عليه السلام جاءته البشارة عن طريق الملائكة، فقال الله: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِطِيتِ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ [الحجر: ٥٣-٥٦]، هذه البشارة التي تنص على أنه سيأتيه ولد رغم كبر سنه، داعية له بأن لا يكون من الآيسين من رحمة الله، فإن اليأس دأب من ضل ولا يعرف رحمة ربه، قال ابن عاشور: "ذلك أنه لما استبعد ذلك استبعاد المتعجب من حصوله كان ذلك أثرا من آثار رسوخ الأمور المعتادة في نفسه بحيث لم يقلعه منها الخبر الذي يعلم صدقه فبقي في نفسه بقية من التردد في حصول ذلك فقاربت حاله تلك حال الذين ييأسون من أمر الله" (١)، ولو لم يكن إبراهيم صاحب إيمان بالملائكة لما صدق مثل هذه البشارة، ولأنكرها حتى النهاية كما أنكرهم أول مرة قبل أن يتعرف عليهم.

لقد خاطب إبراهيم الملائكة بعد أن تعرف بقوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٥٧]، فأخبروه أنهم في مهمة أخرى، وهي أنهم يقصدون قوم لوط، فقالوا: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ٥٨]، ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١]، فقال لهم: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت: ٣٢]، أي إن فيها من لا يستحق العذاب، قال لهم ذلك لإيمانه بهم، وتصديقه لرسالة لوط، ولو لم يكن مؤمنا بهم لما حاورهم، قال ابن عاشور: "انتقل إبراهيم - عليه السلام - إلى سؤالهم عن سبب نزولهم إلى الأرض، لأنه يعلم أن الملائكة لا ينزلون إلا لأمر عظيم كما قال تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٤: ٦٠.

[الحجر: ٨]، وقد نزل الملائكة يوم بدر لاستئصال سادة المشركين ورؤسائهم^(١)، فقالوا: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِيبِ﴾ [العنكبوت: ٣٢]. قال ابن عاشور: "وجواب الملائكة إبراهيم بأنهم أعلم بمن فيها يريدون أنهم أعلم منه بأحوال من في القرية، فهو جواب عما اقتضاه تعريضه بالتذكير بإنجاء لوط، أي نحن أعلم منك باستحقاق لوط النجاة عند الله، واستحقاق غيره العذاب فإن الملائكة لا يسبقون الله بالقول وهم بأمره يعملون وكان جوابهم مطمئنا إبراهيم. فالمراد من علمهم بمن في القرية علمهم باختلاف أحوال أهلها المرتب عليها استحقاق العذاب، أو الكرامة بالنجاة"^(٢).

وفي قصة لوط -عليه السلام-، وعند وصول الملائكة إليه قال: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُّونَ﴾ [الحجر: ٦٢]، فلم يكن يعرفهم لأنهم وصلوا إليه بصورة بشر كما وصلوا إلى إبراهيم من قبله، فخشي لوط -عليه السلام- عليهم من قومه؛ لما يعرفه عنهم من انحراف في سلوكهم الأخلاقي، وانتكاس في فطرتهم، فقالوا: ﴿يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]، قال ابن عاشور: "وابتدأ الملائكة خطابهم لوطا -عليه السلام- بالتعريف بأنفسهم لتعجيل الطمأنينة إلى نفسه؛ لأنه إذا علم أنهم ملائكة علم أنهم ما نزلوا إلا لإظهار الحق، ولذلك قال له الملائكة: (لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ) فإنهم لما أعلموا لوطا -عليه السلام- بأنهم ملائكة ما كان يشك في أن الكفار لا ينالونهم"^(٣)، قال تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٣-٦٤]، وفي سورة العنكبوت قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِيبِ﴾ [العنكبوت: ٣٣]، هذا الخبر وما بعده من دعوة الملائكة لنبي الله لوط بالرحيل من القرية لقرب هلاكها ما كان له أن يحظى بالقبول والتصديق من نبي الله لوط لولا إيمانه بهم وبصدق ما جاءوا به، فقالوا: ﴿فَأَمْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١]، فخرج لوط بأهله مستحيين لطلب الملائكة، موقنا بنزول العذاب على المجرمين من قومه، قال السعدي: أمر الملائكة لوطا أن يسري بأهله قبل الفجر بكثير؛ لكي يتمكنوا

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٤: ٦١.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٠: ٢٤٣.

(٣) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٢: ١٣١.

من البعد عن قريتهم، وليكن همهم النجاة دون أن يلتفتوا إلى الوراء^(١).

فجاء تصديق الله لكلام الملائكة فقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝﴾ [هود ٨٣-٨٤]. وفي قصة زكريا قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُّصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران: ٣٩].

وفي قصة مريم خاطبت الملائكة مريم بقولها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ۝٤٢ يَمْرُؤُا اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ۝٤٣﴾ [آل عمران ٤٢: ٤٣]، ثم نقلت لها بشارة بعيسى فقالت: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٤٥﴾ [آل عمران: ٤٥]، وفي سورة مريم ذكر الله حوارا بين مريم وأحد الملائكة الذين أرسلهم إليها في صورة بشر فطمأنها بأنه رسول من الله إليها ليهب الله لها غلاما صالحا فقال تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝﴾ [مريم ١٧: ١٩]، قال ابن عباس: (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا) يعني: جبريل، وهو قول سعيد بن جبيرة والضحاك بن مزاحم وعكرمة وقتادة^(٢).

المطلب الثالث: أثرها في تكوين الإيمان بالكتب:

من أركان الإيمان بالله جل وعلا الإيمان بالكتب التي أنزلها على أنبيائه - صلوات الله وسلامه عليهم - والأدلة على وجوب الإيمان بالكتب كثيرة، ولكن حسبنا أن نقتصر على ما ورد في القصص القرآني، وذلك ما ورد في قصة النفر من الجن الذين استمعوا للقرآن فآمنوا به وصدقوه، فقال الله عنهم: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ۝٣٩ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٩ يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٩ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٣٩﴾ [الأحقاف ٢٩: ٣٢].

(١) ينظر: السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص ٤٤٥

(٢) ينظر: السيوطي، "الدر المنثور"، ١٠: ٤٢، - ١٠: ٤٩؛ الثعلبي، ٦: ٢٠٩؛ ويحيى بن سلام ١: ٢١٩؛ ابن جرير الطبري، ١٥: ٤٨٥.

قال الألوسي: "أي واذكر لقومك وقت صرفنا إليك نفرا من الجن مقدرا استماعهم القرآن لعلمهم يتنبهون لجهلهم وغلطهم، وقبح ما هم عليه من الكفر بالقرآن والإعراض عنه، حيث إنهم كفروا به وجهلوا أنه من عند الله تعالى، وهم أهل اللسان الذي نزل به، ومن جنس الرسول الذي جاء به، وأولئك استمعوه وعلموا أنه من عنده تعالى وأمنوا به وليسوا من أهل لسانه ولا من جنس رسوله، ففي ذكر هذه القصة توبيخ لكفار قريش والعرب، ووقوعها إثر قصة هود وقومه وإهلاك من أهلك من أهل القرى؛ لأن أولئك كانوا ذوي شدة وقوة كما حكي عنهم في غير آية، والجن توصف بذلك أيضا كما قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩]"^(١).

قال السعدي: " فلما مدحوا القرآن وبينوا محله ومرتبته دعوهم إلى الإيمان به، فقالوا:

﴿يَقُومُوا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾"^(٢).

ويمكننا أن نقسم إنذارهم إلى ثلاثة أقسام كما يأتي: القسم الأول: وصفوا فيه القرآن بثلاثة أوصاف:

الأول: أنزل من بعد موسى، فهو يؤيد ما جاء من قبل في السورة: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ نَّبِيِّ إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠]، والثاني: إن هذا القرآن مصدق لما بين يديه من الكتب التي أنزلها الله، فمحمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل كما مرّ. والثالث: إن هذا القرآن ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يهدي إلى الحق في الاعتقاد والأخبار، ويهدي إلى طريق مستقيم في المنهج والأعمال.

والقسم الثاني من الإنذار: الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما فيه من الجزاء: ﴿يَقُومُوا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

والقسم الثالث من الإنذار: وهو تهديد ووعيد بعدم الإفلات من قدرة الله جلا وعلا^(٣). ويتضح مما سبق أن هذا الإنذار يتضمن الإيمان بالله ورسوله وبكتابه القرآن الذي أنزل على رسوله، وتصديق القرآن لما جاء في التوراة، والإيمان باليوم الآخر، وما تؤول إليه الأمور للمؤمن من مغفرة، والمكذب من عذاب أليم، وختم ذلك الإنذار ببيان قوة الله وقدرته، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض.

(١) الألوسي، "روح المعاني"، ١٣: ١٨٧.

(٢) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن"، ص: ٩٢٤.

(٣) ينظر: "التفسير الموضوعي لسور القرآن"، ٧: ٢١٨ - ٢١٩.

المطلب الرابع: أثرها في تكوين الإيمان بالرسول:

الإيمان بالرسول أحد أركان الإيمان بالله جل وعلا، ولا يصح إيمان العبد إلا بها، والله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نؤمن بهم جملة فقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، ولا يجوز التفريق بينهم، فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى، قال الله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝١٥٢﴾ [النساء: ١٥٠: ١٥٢]، ومن خلال دراسة القصة القرآنية نجد فيها مواقف خالدة لحقيقة الإيمان بالرسول، وكيف يحول الحياة من الكفر إلى الإسلام، ومن الضلال إلى الهدى، عقب استقرار الإيمان بالرسول في قلوب أصحابها، هذه المواقف لها أثر في تكوين الشخصية الإسلامية كما سيأتي معنا في المواقف التالية:

قصة مؤمن آل فرعون، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

ولما سمع الرجل المؤمن كلام فرعون عن توجهه لقتل موسى وقف الموقف الإيماني العظيم، وانتصر لموسى وتصدى لفرعون، وإيمان هذا القائد بموسى عليه السلام شهادة لموسى في نجاحه الدعوي، كما أن إيمانه دليل على جرأته وشجاعته، فهو يعلم من هو فرعون، وما هو بطشه وطغيانه، ومع ذلك آمن بالله، واستعد لدفع ثمن هذا الموقف^(١). وقد وصفه الله بالإيمان في قوله: ﴿مُؤْمِنٌ﴾، فهو صاحب إيمان بالله تعالى، لذلك أثر هذا الإيمان في لحظة فارقة، مناصراً لنبي الله موسى عليه السلام، ومدافعاً عنه، كما أنه قام بتفويض الأمر لله تعالى؛ لأن عاقبته هي النجاة من مكر الماكرين، فقال: ﴿وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝٤٤﴾ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٤-٤٥].

قصة سحرة فرعون، وفيها أنهم أصبحوا كافرين وأضحوا معاندين ومتحدين لله ولرسوله موسى عليه السلام، وأمسوا شهداء لله في الفردوس الأعلى.

(١) ينظر: الخالدي، د. صلاح الخالدي، "القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث"، (ط ٣، دمشق: دار القلم، ٢٠١١م)، ٢: ٤٩٠.

إن هذا التحول السريع في شخصيتهم ما كان له أن يحصل لولا الإيمان بموسى وبما جاء به، قال ابن عباس: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخر النهار شهداء^(١)، وقد بين الله حقيقة هذا المشهد فقال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۚ﴾ (٧٠) قَالَ آمَنَّا لَهُ، قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقِطَعُ أَيْدِيكُمْ وَأُتْرُجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتُكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۚ﴾ [طه ٧٠: ٧٣].

قال ابن جرير الطبري: "وقوله: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا﴾ إنا أقرنا بتوحيد ربنا، وصدقنا بوعدته ووعدته، وأن ما جاء به موسى حق ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا﴾ يقول: ليغفر لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ يقول: ليغفر لنا ذنوبنا، وتعلمنا ما تعلمناه من السحر، وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلمه والعمل به، وذكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر"^(٢). فكان جواب السحرة المؤمنين، جواب الثابت على الحق، فعلى قدر وضوح المعجزة لهم كانت قوة إيمانه، ويقينهم بالله فأجابوه بقولهم: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، ثم بينوا علة إصرارهم على الإيمان، فقالوا: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، لقد هددهم فرعون لما رأى إيمانهم، وتوعدهم بالقتل والصلب ولكنهم أظهروا استخفافهم بوعدته وتهديده؛ لأنهم صاروا أهل إيمان ويقين، وكذلك شأن المؤمنين بالرسول إذا أشرقت عليهم أنوار الرسالة فسرعان ما يكون انقلابهم عن جهالة الكفر وقساوته إلى حكمة الإيمان وثباته^(٣).

قصة ملكة سبأ، وفيها أنها كانت تعبد الشمس من دون الله، وحينما بلغ سليمان عليه السلام خبرها عن طريق الهدد؛ أرسل إليها رسالة تنص صراحة على طلب الدخول في الإسلام فقال فيها: ﴿الْأَتَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل: ٣١)، أي مستسلمين طائعين، فشاورت قومها، ثم قامت بمحاولات لعلها تثني سليمان عن تهديده فما نفعها تلك المحاولات، فاستجابت لطلب سليمان

(١) ابن جرير الطبري، "جامع البيان"، ٧: ٥٦١١.

(٢) ابن جرير الطبري، "جامع البيان"، ٧: ٥٦١٢.

(٣) ينظر: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ.د. مصطفى مسلم، "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم". (ط ٢، جامعة الشارقة، ٢٠١٣م)، ٤: ٥٧٠-٥٧١. ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٦: ٢٦٦.

وذهبت لمقابلته، ولما وصلت عند نبي الله سليمان عليه السلام قال لها: ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ [النمل: ٤٤]، فلما رأت ما آتاه الله وجلالة ما هو فيه وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم، وملك عظيم، وأسلمت لله عز وجل وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً^(١).

خرجت ملكة سبأ بهذه النتيجة لأنها أيقنت بأنه على حق، وأنه نبي من عند الله، ودينه دين الحق، فأمنت به، وأسلمت معه، فتحولت من كافرة معادية لسليمان إلى مسلمة مناصرة له، وأسلم معها قومها، وبهذا يتضح مما سبق دور القصة القرآنية وأثرها في تكوين الشخصية الإسلامية بالإيمان بالرسول.

المطلب الخامس: أثرها في تكوين الإيمان بإحياء الموتى.

وقد ذكر الله إحياء الموتى، في سورة البقرة في خمسة مواضع من القصص القرآنية:

الأول: في قصة موسى عندما طلب قوم موسى - عليه السلام - حين قالوا: في الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] لن نؤمن فأماهم الله، ثم أحياهم، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ﴾ [البقرة: ٥٦]. قال ابن جرير الطبري: "فعلنا بكم ذلك لتشكروني على ما أوليتكم من نعمتي عليكم، بإحيائي إياكم، استبقاء مني لكم، لتراجعوا التوبة من عظيم ذنبكم، بعد إحلالي العقوبة بكم بالصاعقة التي أحللتها بكم، فأما تكم بعظيم خطئكم الذي كان منكم فيما بينكم وبين ربكم"^(٢). وهذا أمر خارق للعادة جعله الله معجزة لموسى عليه السلام استجابة لدعائه وشفاعته أو كرامة لهم من بعد تأديبهم إن كان السائلون هم السبعين فإنهم من صالحى بني إسرائيل^(٣).

الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل في زمن موسى - عليه السلام - فأمرهم الله أن يذبجوا بقرة، ويضربوه ببعضها؛ ليخبرهم بمن قتله، ففعلوا ذلك فأحياه الله، وأخبر بمن قتله، ثم مات، كما في قوله عليه السلام: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرُءْ ثُمَّ فِيهَا وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْنُتُونَ﴾ [البقرة: ٧٣: ٧٢] فهذه القصة

(١) ينظر: ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٢٨: ٣١.

(٢) ابن جرير الطبري، "جامع البيان"، ١: ٤١٠.

(٣) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١: ٥٠٥.

حجة لهم ولمن بعدهم على المعاد. قال ابن عطية: "وفي هذه الآية حض على العبرة، ودلالة على البعث في الآخرة. وظاهرها أنها خطاب لبني إسرائيل، حينئذ حكي لمحمد صلى الله عليه وسلم ليعتبر به إلى يوم القيامة، وذهب الطبري إلى أنها خطاب لمعاصري محمد صلى الله عليه وسلم، وأنها مقطوعة من قوله تعالى: اضْرِبُوهُ بِعُضْرِهَا، وروي أن هذا القتل لما حيي وأخبر بقاتله عاد ميتا كما كان"^(١).

الثالث: في قصة الذين خرجوا من ديارهم، وهو ألو ف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم، كما في قوله -ﷺ-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وتستفيد الشخصية الإسلامية على مر الزمان من هذه القصة عبرة وعظة، ودليل على أنه لن يغني حذر من قدر، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فإن هؤلاء فروا من الوباء طلباً لطول الحياة فعوملوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعاً في آن معاً.

قال د. وهبة الزحيلي - رحمه الله -: "ثم أحياهم،" ليروا هم وكل من خلف من بعدهم أن الإمامة إنما هي بيد الله تعالى، لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف، ولا لاغترار مغتر، وجعل الله هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالجهاد"^(٢).

الرابع: في قصة عزيز: فأما الله مئة عام، ثم بعثه كما في قوله -ﷺ-: ﴿أَوَكَلَّيْكَ مَرَعًا قَرِيَةً وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وهذه القصة والتي تليها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، دليل واضح على إمكان البعث بعد الفناء، والحشر بعد النشر من القبور، والدليل الثابت الذي يمكن أن يحتج به على البعث في كل زمان ومكان"^(٣).

الخامس: في قصة إبراهيم -عليه السلام- في قوله -ﷺ-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالُ بَلْ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، "هذه القصة دليل آخر على إثبات قدرة الله على إحياء الموتى، مهما تلاشت أجزاؤها، وتفتت ذراتها، وتطاول الزمان على موتها. ولم يكن إبراهيم عليه السلام شاكاً في القدرة الإلهية على ذلك، وإنما ليثبت الاعتقاد بالتجربة الحسية أو الخبر

(١) ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ١: ٢٥٤.

(٢) د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، "التفسير المنير"، ١: ٧٨٥.

(٣) سراج الدين عمر الحنبلي، "اللباب في علوم الكتاب". (ط ١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م)، ٤: ٣٥٤. بتصرف.

والمعانية، وهذا يشير إلى أهمية العلم التجريبي، والاختبارات العملية، لمعرفة كيفية تركيب الأشياء^(١).
فالإحياء والإماتة من خصائص الألوهية فهو الحي القيوم، وقد عرض لنا هذه الصور الخمس من سورة البقرة للحياة والموت لهذه المخلوقات، وهذه هي المناسبة التي تربط بين هذه القصص جميعاً.
في هذه القصص المذكورة في سورة البقرة تأثير كبير على شخصية المسلم، فتعمل على إعادة تشكيله من ناحية الإيمان باليوم الآخر، والبعث، وأن بعد دار الدنيا دار أخرى، وحساب وعقاب فيستحضر أنه مسؤول عن جميع ما يقوم به في حياته، مدركاً أن أي خللاً يقع فيه سيسأل عنه، وبالتالي يقوم هذا الفهم الإيماني باليوم الآخر على صياغة شخصية تستحضر لقاء الله كل وقت وحين، وأنه إلى الله راجع، وأن الدنيا مجرد محطة عبور فقط إلى الحياة الآخرة، وبناء عليه تحرص الشخصية الإسلامية على التزود بالخير استعداداً للقاء الله، بخلاف من لا يؤمن بالبعث، فهو يعيش ليومه فقط، فلا يبالي بأي مظلمة يقع فيها أو أي تقصير يصدر منه لعدم إدراكه بأنه مسؤول عن كل ذلك.

المطلب السادس: أثرها في تكوين الثبات على الدين.

ومن أعظم ما يفيد الشخصية الإسلامية من القصة القرآنية في مجال الإيمان مفهوم الثبات على الدين والحق، فالإيمان بالله يورث في الشخصية الإسلامية مبدأ الثبات والشجاعة.
وقد جاءت قصص الثبات على الدين، والإيمان، في أكثر من موضع في القرآن الكريم:
الأول: قصة امرأة فرعون عند قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحریم: ١١]، وفي هذه الآية نجد امرأة فرعون تسأل الله الثبات على الإيمان^(٢).
قال القرطبي: "ثم ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنة عمران، ترغيباً في التمسك بالطاعة والثبات على الدين، وقيل: هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة، أي لا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون. وكانت آسية آمنت بموسى. وقيل: هي عمة موسى آمنت به. قال أبو العالية: اطلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم: ما تعلمون من آسية بنت مزاحم؟ فأثنوا عليها. فقال لهم: إنها تعبد ربا غيري. فقالوا له: أقتلها. فأوتد لها أوتاداً وشديديها ورجليها فقالت: (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) ووافق ذلك حضور فرعون، فضحكت حين رأت بيتها في الجنة. فقال فرعون: ألا تعجبون من جنونها! إنا

(١) د. وهبة الزحيلي، "التفسير المنير"، ٢: ٤٢.

(٢) ينظر: محمد المري، "تفسير القرآن العزيز" (ط ١، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م)، ٥: ١٠.

نعذبها، وهي تضحك، فقبض روحها"^(١).

الثاني: قصة مؤمن آل فرعون - راجع الإيمان بالرسول.

الثالث: قصة سحرة فرعون - راجع الإيمان بالرسول.

الرابع: قصة أصحاب الأخدود، في قوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ (٥) ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ [البروج: ٥٦]، "فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيداً للكفار وتأييماً للمسلمين المعذبين"^(٢). صبروا على نار الأخدود، وثبتوا على دينهم، ولم يرتدوا، لهم بهاتين الصفتين: الإيمان والعمل الصالح، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها"^(٣).

قال أبو حيان: "وأن أولئك الذين أعرضوا على النار كان لهم من الثبات في الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم أو يحرموا، وأن أولئك الذين عذبوا عباد الله ملعونون، فكذلك الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش ملعونون. فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذب"^(٤).

الخامس: قصة حبيب النجار: ومن ذلك ما جاء في قصة ثبات المؤمن حبيب النجار في سورة يس، عندما أشهر إيمانه في قوله تعالى: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ [يس ٢٢ إلى ٢٧].

قال ابن عاشور: "وجملة إني آمنت بربكم فاسمعون واقعة موقع الغاية من الخطاب والنتيجة من الدليل. وهذا إعلان لإيمانه وتسجيل عليهم بأن الله هو ربه لا تلك الأصنام، وأكد الإعلان بتفريع فاسمعون استدعاء لتحقيق أسماعهم إن كانوا في غفلة"^(٥). وفي قوله: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾، إشارة إلى أن الإيمان بالله اعتقاد وقول وعمل، قال المفسرون: "ثم صرح بإيمانه تصريحاً لا يبقى بعده شك فقال: ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾، أي اسمعوا إيماني لتشهدوا لي به يوم القيامة"^(٦).

(١) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط١)، مؤسسة الرسالة، ٢٠١٣م، ٢١: ١٠٤-١٠٥.

(٢) ابن جزري، محمد بن أحمد بن محمد بن جزري، "التسهيل لعلوم التنزيل". تحقيق: محمد بن سيدي محمد مولاي، (ط١)، بيروت: دار الضياء، ٢٠١٣م، ٤: ١٦٩٣.

(٣) د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، "التفسير الوسيط". (ط١)، دمشق: دار الفكر - ١٤٢٢ هـ، ٣: ٢٨٥٣.

(٤) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، "البحر المحيط". (ط٢)، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م، ٨: ٤٤٢.

(٥) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٢: ٣٦٩.

(٦) الشوكاني، "فتح القدير"، ٤: ٤١٩، النسفي، "مدارك التنزيل وحقائق التأويل". (ط١)، بيروت: دار الكلم

الطيب، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٣: ١٠١. أحمد الفاسي، "البحر المديد" (القاهرة: ١٤١٩ هـ)، ٤: ٥٦٤.

ومما سبق يتضح أن الإنسان مفطور على التوحيد، ويحتاج إلى دراسة القصة القرآنية لاستنباط معالم التثبيت منها، وقد قص الله على نبيه صلى الله عليه وسلم أخبار الرسل من قبله؛ ليثبت قلبه، فقال تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠] .

فإذا كان هذا حاله صلى الله عليه وسلم، وحاجته للقصة للتثبيت، فنحن من باب أولى، ولا يكون الثبات على هذا الدين إلا بمقدار ما يحمله المرء من إيمان صادق بالله جل وعلا. إن هذه القصص تحكي معالم الثبات على هذا الدين، وإيرادها ليست لمجرد الحكاية فقط، بل للاستفادة منها، فالشخصية الإسلامية المتوازنة بحاجة إلى مقومات للثبات على هذا الدين؛ نظرا لكثرة التحديات التي تواجهها في حياته، هذه التحديات على كافة المستويات وأهمها مواجهة التحدي في صده عن دينه، وتمسكه بثوابت هذا الدين بحجة التخلف أو الرجعية أو أي وسيلة يستخدمها القاصدون للصد عن دين الله، فالتأمل في هذه المواقف يعلم يقينا أن هذا الدين عظيم، وليس أكرم على الله من أنبياء الله، فقد تحملوا الكثير من الأذى، وواجهوا العديد من التحديات، فثبتوا وصبروا وصابروا، ولنا فيهم أسوة وقودة، وليعلم المرء أن هذه التحديات تأتي أحيانا من الداخل كما هو حال زوجة فرعون، أو من الحاكم كما هو حال سحرة فرعون ومؤمن آل فرعون، أو من المجتمع كما هو حال مؤمن آل يس، أو تبلى الأمة بشكل عام فتحتاج إلى التثبيت كما هو حال أصحاب الأخدود، وينبغي تربية الشخصية الإسلامية على هذه المفاهيم التي توختها القصة القرآنية، والعمل على تكوينها في إيمانه وعقيدته.

المبحث الثاني: أثر القصة القرآنية في التكوين العبادي

- أمهات العبادات نموذجاً -

توطئة:

كثيراً ما يركز القصص القرآني على أمهات العبادات، كالصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، وهو ما يمكن عرضه من خلال هذا المبحث الذي يبين أثر القصة في القيام بالعبودية لله تعالى، وهي التطبيق العملي للعقيدة.

ففي سورة الأنبياء بين الله مهمة الأنبياء في دعوتهم للناس بعد التوحيد؛ تحقيق العبودية لله جل وعلا، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وجعل الله العبادة في الحياة حتى الممات فقال: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وذم المستكبرين عنها فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وفيما يأتي تعريف العبادة، وأثر القصة القرآنية على تكوينها في الشخصية الإسلامية:

تعريف العبادة:

العبادة لغة: العبادة في لغة العرب تدور حول: الطاعة والذلة والخضوع^(١).

قال ابن فارس -رحمه الله-: (عبد) العين والباء والداً أصلان صحيحان، كأنهما متضادان، و[الأول] من ذينك الأصلين يدل على لين وذل، والآخر على شدة وغلظ. فالأول العبد، وهو المملوك، والجماعة العبيد، وثلاثة أعبد وهم العباد، وأما عبد يعبد عبادة فلا يقال إلا لمن يعبد الله - تعالى. يقال منه عبد يعبد عبادة، وتعبد يتعبد تعبدًا. فالمتعبد: المتفرد بالعبادة، ومن الباب: الطريق المعبد، وهو المسلك المذلل^(٢).

العبادة شرعاً: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"^(٣).

(١) انظر: الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الأزهرى الهروي، "تهذيب اللغة" (ط ١)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ، ٢: ٢٣٤.

(٢) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٤: ٢٠٥.

(٣) فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة؛ وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن

وسميت العبادة بهذا الاسم؛ لأن الخلق كلهم عباد لله خاضعون له، متذللون بين يديه، وما خلقهم إلا لأجل عبادته كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهي فرض واجب، وحق لله جل وعلا لا يشركه فيها أحد.

قال ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: "أي: نخصك وحدك بالعبادة"^(١)، وقال الشوكاني: "نخصك بالعبادة ونخصك بالاستعانة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، والعبادة أقصى غايات الخضوع والتذلل"^(٢).

وما سبق يتناول تعريف العبادة بمفهومها العام، بينما العبادات بمفهومها الفقهي المقصود بها: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج، وهو ما سنتناوله في هذا البحث، وقد جاءت قصص كثيرة لها أثر على تكوين الشخصية الإسلامية من ناحية العبادات كما في المطالب الآتية:

المطلب الأول: أثرها في عبادة الصلاة.

تكمن أهمية الصلاة في تكوين الشخصية الإسلامية؛ لأنها عمود الإسلام، وذكرت الصلاة في القصة القرآنية في أكثر من موضع:

منها: قصة إبراهيم - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، دعا إبراهيم - عليه السلام - ربه بأن يجعله مقيماً للصلاة وذريته من بعده، قال الشوكاني: "ثم سأل الله سبحانه بأن يجعله مقيم الصلاة، محافظاً عليها، غير مهممل لشيء منها، ثم قال: ومن ذريتي أي: بعض ذريتي أي: اجعلني واجعل بعض ذريتي مقيمين للصلاة"^(٣)، وقد خص الصلاة من بين فرائض الدين؛ لأنها العنوان الذي يمتاز به المؤمن من غيره، ولما لها من المزية العظمى في تطهير القلوب بترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن"^(٤)، وقد دعا إبراهيم عليه

السييل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة، انظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، "مجموع الفتاوى". عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (ط ١)، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٩٩٥م)، ١٠: ١٤٩.

(١) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ١: ٧.

(٢) الشوكاني، "فتح القدير"، ١: ٨٩.

(٣) الشوكاني، "فتح القدير"، ٣: ١٥٥.

(٤) الزحيلي، د. وهبة الزحيلي، "التفسير المنير"، ١٣: ٢٦٥ بتصرف يسير.

السلام في أمر كان مثابراً عليه متمسكاً به، ومتى دعا الإنسان في مثل هذا، فإنما القصد إدامة ذلك الأمر واستمراره^(١).

وقال في موضع آخر على لسان إبراهيم - عليه السلام -: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ۖ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، إشارة إلى أن إسكان إبراهيم - عليه السلام - وزوجه وابنه إسماعيل - عليه السلام - عند البيت الحرام كان لإقامة الصلاة، فبها تكتمل شخصيتهم الإسلامية، ويتصلون برحمهم.

وجاء الأمر في سورة البقرة بوجوب اتخاذ موضع صلاة بقوله - عليه السلام -: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]، فقوله: «طَهِّرَا»، هو أمر كذلك يدل على وجوب العناية بالأراضي المقدسة، ومعنى تطهيره: صيانته من الأقدار والأرجاس والأوثان وكل ما كان مظنة للشرك، ولا يليق ببيوت الله، قال المراغي: "أي ووصينا إبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت من كل رجس معنوي كالشرك بالله وعبادة الأصنام، أو رجس حسي كاللغو والرفث والتنازع فيه، حين أداء العبادات كالطواف به والسعي بين الصفا والمروة والعكوف فيه والركوع والسجود"^(٢)، وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] أشارت إلى فضل بناء المساجد، ودورها في تكوين الشخصية الإسلامية، وعمارة المساجد بإقامة الصلاة. ويثني الله على إسماعيل فيقول: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤-٥٥].

وفي قصة موسى عليه السلام - عندما أمره الله - عليه السلام - في الآية الكريمة: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، هنا الشاهد في أول الأمر: ﴿فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾، فالصلاة عظيمة القدر، وكل عبادة تسقط عن الإنسان في بعض الأحوال إلا الصلاة، فالصلاة سر نجاح العلاقة الشخصية الإيمانية، بينها وبين الله سبحانه وتعالى، أي: "لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار...."^(٣). قال المراغي: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ أي وأد

(١) ابن عطية، أبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرون، (ط ٢، دمشق: دار الخير، ٢٠٠٧م)، ٥: ٢٥٧.

(٢) المراغي، أحمد بن مصطفى، "تفسير المراغي"، ١: ٢١١. محمد سيد طنطاوي، "التفسير الوسيط". (ط ١، القاهرة: دار نضضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ١: ٢٦٨.

(٣) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، "تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل". تحقيق: يوسف علي بديوي، (ط ١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ٢: ٣٥٩.

الصلاة على الوجه الذي أمرتك به مقومة الأركان مستوفاة الشرائط، لتذكرني فيها وتدعوني دعاء خالصاً لا يشوبه إشراك ولا توجه إلى سواي" (١).

وفي سورة يونس يقول الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكَ مِمَّا يَبْغُونَ وَيُؤْتِكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧]. أي: "واجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها" (٢)، فجعلوا بيوتهم مكاناً للعبادة، وأقاموا الصلاة، واستقاموا على دين الله عز وجل.

وفي قصة نبي الله زكريا - عليه السلام - حين نادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب كما في الآية الكرمة - قال - ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]، قال ابن عاشور: "وهو قائم جملة حالية والمقصود من ذكرها بيان سرعة إجابته؛ لأن دعاءه كان في حال صلاته" (٣). فأقرب ما يكون العبد مع ربه في الصلاة.

وفي قصة مريم في قوله تعالى: ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران: ٣٧] قال الواحدي: "لما ضم زكريا مريم إلى نفسه بنى لها محراباً ((للصلاة)) في المسجد لا يرقى إليه إلا بسلم ولا يصعد إليها غيره" (٤)، والمحراب هو أشرف المجالس لكونه مخصصاً للعبادة (٥)، قال السعدي: "فنشأت في عبادة ربها، وفاقت النساء، وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها أي: مصلاتها" (٦).

لقد كانت حياة مريم عليها السلام موصولة بالله، فنوتاً وسجوداً وركوعاً، ولهذا استحقت هذا التفضيل على نساء العالمين فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءٍ الْعَالَمِينَ﴾ (٤٤) ﴿يَمْرُؤُا أَقْنِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، قال القرطبي: "أي أطيلي القيام في الصلاة" (٧).

(١) المراغي، أحمد بن مصطفى، "تفسير المراغي"، ١٦: ٩٩.

(٢) ابن جرير الطبري، "جامع البيان"، ٥: ٤٢٥٠.

(٣) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣: ٢٣٩.

(٤) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، "الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، (ط١)، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ١: ٤٣٣.

(٥) سعيد حوى، "الأساس في التفسير"، (ط٦)، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٤ هـ، ٣: ٧٦٣.

(٦) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، (ط١)، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠ م، ص: ١٢٨.

(٧) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٥: ١٢٩.

وفي قصة عيسى - عليه السلام - تظهر عبوديته لله عز وجل من خلال قول الله على لسانه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مریم: ٣٠] إلى قوله: ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مریم: ٣١]، والوصية بالصلاة هي أمرٌ بها، فحياة الإنسان المسلم، من مولده لمماته، بحركاته وسكناته، كلها عبودية. قال الرازي: واعلم أن الحكمة لا يمكن خروجها عن هذين المعنيين، وذلك لأن كمال الإنسان في شيئين: أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، فالمرجع بالأول: إلى العلم والإدراك المطابق، وبالثاني: إلى فعل العدل والصواب، ... وقال عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مریم: ٣٠]، وكل ذلك للحكمة النظرية، ثم قال: ﴿وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مریم: ٣١]، وهو الحكمة العملية^(١).

وفي وصية لقمان لابنه قال: ﴿يَبْنِي أَفْمِرُ الصَّلَاةَ﴾ [لقمان: ١٧]، قال البيضاوي: "يا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ تَكْمِيلًا لِنَفْسِكَ"^(٢)، قلت: والتكميل هو تمام التكوين للشخصية، ومن هنا يتضح أثر هذه القصة في تكوين الشخصية الإسلامية، فعلى المسلم أن يربي أولاده على عبادة الصلاة، منذ السنوات الأولى.

ومما سبق يظهر الاهتمام بشأن تكرار الصلاة في أكثر من قصة في القرآن الكريم؛ لأنها المكون الذي تتميز بها الشخصية الإسلامية عن غيرها، فإن التكرار من طرق التقرير والتأكيد وأمارات الاهتمام، كما هو الحال في قصة إبراهيم، وعيسى، وموسى، وزكريا، ولقمان، مع الصلاة. ولما كان الدعاء من معاني الصلاة، فهو لا يقل أهمية عنها في تكوين الشخصية الإسلامية، ففي قصة إبراهيم - عليه السلام - أشارت الآية الكريمة، إلى عبادة الدعاء، بقوله - عليه السلام -: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ [إبراهيم: ٤٠]، ففي هذه الآية مشروعية الدعاء للنفس، والذرية بما يعينهم على ديمومة الصلاة والمحافظة عليها.

ويتضح مما سبق أثر قصة إبراهيم وموسى ومریم وعيسى عليهم السلام ولقمان في تكوين عبادة الصلاة لدى الشخصية الإسلامية، فقد حظيت باهتمام كبير في قصصهم، مما يجعل تربية النفس على حبها، والبدن على القيام بها ضرورة؛ لأنها الصلة بين العبد وربّه، وأحد أركان الإسلام، فالشخصية الإسلامية التي لا تصلي لا تستحق وصفها بالإسلامية؛ لأنها أخلت بأحد أركان الإسلام، والمتأمل في قصة إبراهيم وموسى ومریم وعيسى عليهم السلام ولقمان الحكيم يجد العناية

(١) ينظر: الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٧: ٥٨.

(٢) البيضاوي، "تفسير البيضاوي"، ٤: ٢١٥.

الكبيرة لدى هؤلاء العظماء بالصلاة، وأنها كانت واحدة من لوازم بناء شخصيتهم وتكوينها، وهذا يعكس الأثر الذي تحدثه قصصهم في وجوب تشكيل الشخصية الإسلامية وبناءها على هذه الفريضة، إذ أنها وصية الله لأتباعه كما قال عن عيسى عليه السلام ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ﴾ والوصية لا تكون إلا في أمر هام، فإذا ضيعها فقد ضيع الصلة بينه وبين ربه، والزاد اليومي لنجاحه، وتوفيقه ودعوته، كما نجد أن إبراهيم يدعو الله أن يجعله مقيم الصلاة ويجعل ذريته كذلك، وهذا ما ينبغي عليه أن تكون الشخصية الإسلامية، محافظة على الصلاة، تدعو الله العون على إقامتها، وتسأل هذا الخير لذريتها.

إن شأن الصلاة عظيم، ولذلك ذكرت في قصص أول العزم من الرسل، وكأنها الوسيلة التي جعلت منهم أصحاب عزم في دعوتهم، فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة^(١).

المطلب الثاني: أثرها في عبادة الزكاة.

لأداء الزكاة أهمية في تكوين الشخصية الإسلامية؛ لأنها عمود الإسلام، وذكرت الزكاة في القصة القرآنية في أكثر من موضع:

منها: في قصة إسماعيل - عليه السلام - أثنى الله عليه فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٤-٥٥]، مما أعلى شأن إسماعيل - عليه السلام - ورفع قدره فاستحق ذكره في القرآن العظيم، إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والمراد بأهله: جميع أمته قاله الحسن البصري، وهناك أقوالاً أخرى^(٢)، قال الماوردي: رحمه الله - ﴿وَالزَّكَاةُ﴾ فيها وجهان: أحدهما: زكاة المال، والآخر: التطهير من الذنوب^(٣)، فإسماعيل - عليه السلام - نقل هذه الوصية لمن وراءه من أهليه وأقوامه وأتباعه، وهكذا كل من يقتدي به.

وفي قصة موسى والنقباء، تظهر أهمية الزكاة في تكوين الشخصية الإسلامية، كما في الآية

(١) أخرجه أبو داود عن محمد بن عيسى قال حدثنا يحيى بن زكريا عن عكرمة بن عمار عن محمد بن عبد الله الدؤلي عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة عن حيفة قال: كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى. سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب: تفرغ أبواب التطوع وركعات السنة، رقم (١٣١٩).

(٢) قال مقاتل: يعني: قومك. وقال يحيى بن سلام: وأهله قومه. ينظر: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١١: ١١٦. "تفسير مقاتل بن سليمان"، ٢: ٦٣١. "تفسير يحيى بن سلام"، ١: ٢٢٩.

(٣) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، "النكت والعيون". (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٣: ٣٧٠.

الكرامة قال - ﷺ - ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ [المائدة: ١٢]، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، فمن كان الله معه، فلا أحد يقدر أن يقف ضده. قال السعدي - رحمه الله - معنى ﴿وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ لمستحقيها^(١). ويستفاد من هذه القصة، أن إيتاء الزكاة والإنفاق في سبيل الله، مكوّن رئيس من مكونات الشخصية الإسلامية، فما شرعت إلا لإكمال الإنسان.

وفي قصة عيسى - ﷺ - أوصاه الله بإيتاء عبادة الزكاة كما قال - ﷺ - في الآية الكريمة، ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، فالصلاة أفضل العبادات البدنية قاصرة بين العبد وربّه، والزكاة أفضل العبادات المالية عبادة متعدية لجميع الخلق، فالزكاة صلة الجماعة بعضها ببعض والتأمين من الحاجة والفساد، والصلاة والزكاة من باب العبادات، لكن كل مأثور به من الله عبادة؛ لأن العبادة هي أن تطيع من تعبد في كل ما أمر به، وأن تحتجب ما نهى عنه، فكل أمر إلهي هو عبادة^(٢).

وفي قصة أصحاب الجنة، تبين عاقبة عدم إخراج الزكاة، بقوله - ﷺ - ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَبَصَرُهَا مَصْرِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يُسْتَنَوْنَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٧-٢٠]، قال د. وهبة الزحيلي: "روي أن واحداً من ثقيف، وكان مسلماً، كان يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء، وكان يجعل من ناتجها عند الحصاد نصيباً وافراً للفقراء، فلما مات، ورثها منه بنوه، ثم قالوا: عيالنا كثير، والمال قليل، ولا يمكننا أن نعطي المساكين، مثلما كان يفعل أبونا، فأحرق الله جنتهم"^(٣).

وفي بيت النبوة تظهر العناية الإلهية في تكوين شخصية زوجات النبي - ﷺ - فقال سبحانه: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] والشاهد الأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، قال أبو حيان: "أمرهن أمراً خاصاً بالصلاة والزكاة، إذ هما عمودا الطاعة البدنية والمالية، ثم جاء بهما في عموم الأمر بالطاعة، ثم بين أن نهين وأمرهن ووعظهن إنما هو لإذهاب المآثم عنهن وتصورهن بالتقوى"^(٤).

(١) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ١: ٢٢٥.

(٢) الشعراوي، محمد متولي، "تفسير الشعراوي = الخواطر". (ط ١، مصر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م)، ٥: ٣٠٠٠.

(٣) الزحيلي، د. وهبة الزحيلي، "التفسير المنير"، ١٥: ٦٣.

(٤) أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط"، ٧: ٢٢٤.

ومما سبق يتضح أن تكرار عبادة الزكاة في أكثر من قصة تبين لنا وجوبها، وكونها من مكونات الشخصية الإسلامية، فهي عبادة متعددة لنفع الخلق.

إن حب المال أمر فطري خلقه الله في طبيعة الإنسان، واختبره في ذلك، فأوجب عليه الزكاة لينظر كيف ينتصر على هواه، وما يحبه قلبه، ويقمع هذا الطمع بالتخلص مما في يده للفقراء والمساكين، وبالتالي جاءت قصة إسماعيل وموسى وعيسى عليهم السلام وأصحاب الجنة لتعلمنا ما ينبغي القيام به تجاه هذا المال، وفقه التعامل معه، وأن هذا المال مال الله، فالشخصية الإسلامية معنية بالاستفادة من قصص الأنبياء والاقتداء بهداهم، ومنها عبادة الزكاة، فهي وصية الله لعيسى عليه السلام وكان إسماعيل يأمر أهله بها، واستحق هذا الثناء لقيامه بهذه العبادة وأمره بها؛ فاكتملت شخصيته، وهذا موسى في قصته مع النقاء يبلغه ربه بأن معيته معهم مقرونة بإيتاء الزكاة بعد إقامة الصلاة، والشخصية الإسلامية تحرص على أن تكون مع الله، ويكون الله معها، فتعمل ما يستوجب ذلك، وتبني نفسها بهذه العبادة حتى تكتمل فتستحق الثناء والمدح والمعية، ولتعلم أن عاقبة منعها للزكاة يعرض هذا المال للخطر، فيوشك الله أن ينزع منه هذا المال ويحرمه هذا الخير كما حصل لقصة أصحاب الجنة.

المطلب الثالث: أثرها في عبادة الصيام.

الصيام من العبادات التي تعمل على تركية النفس، وتهذيبها، وتكوينها، وقد ذكر الصيام في القصة القرآنية في أكثر من موضع:

وفيما يأتي بعض من القصص في القرآن التي ركزت على الصيام وأثره في تكوين الشخصية الإسلامية:

أولاً: في قصة موسى -عليه السلام- ذكر أنه صام أربعين يوماً استعداداً للقاء ربه سبحانه قال تعالى:

﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال

الماوردي في تفسيره: "فيها قولان: كان أحدهما: أن الثلاثين ليلة شهرٌ أمر بصيامه"^(١)، وقال

الواحدى: "فواعد الله موسى أن يؤتیه الكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون، وأمره أن يصوم ثلاثين يوماً فصامه وصلاً ولم يطعم شيئاً، فتغيرت رائحة فمه، فعمد إلى لحاء شجرة فمضغها، فأوحى الله إليه: «أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك» ؟ وأمر أن يصل بها عشراً، فتم ميقات ربه أربعين ليلة"^(٢)، قال د. وهبة الزحيلي: "تعظيماً لشأن الميقات أو الموعد بتكليم الله أمر الله موسى أن

(١) الماوردي، "النكت والعيون"، ٢: ٢٥٦.

(٢) الواحدى، "الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، ١: ١٣٦.

يَصُومُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَأَنْ يَعْمَلَ فِيهَا مَا يَقْرِيهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ عَلَيْهِ فِي الْعَشْرِ الْبَوَاقِي فِي رَأْيٍ، أَوْ أَنَّهُ أَزَالَ خُلُوفَ فَمِهِ بِنَهَايَةِ صَوْمِ الثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَهُوَ شَهْرُ ذِي الْقَعْدَةِ فِي رَأْيِ الْكَثِيرِينَ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا عَشْرَةَ أَيَّامٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ"^(١).

وفيها إشارة للشخصية الإسلامية إلى أن الصوم سلوك صحيح في معالجة كثير من المشاكل، ومن لوازم الشخصية الإسلامية.

ولما كان شأن عبادة الصوم شهرا في العام على الفريضة، جاءت هذه العبادة في القصص القرآني في إشارة سريعة في قصة موسى، وجاء هذا اللفظ كذلك في قصة مريم على القول المرجوح بأن معناه الصيام عن الطعام والشراب، وفي قصة موسى لها أثر في تكوين الشخصية الإسلامية على عبادة الصوم والتقرب إلى الله؛ لأنه من أركى العبادات التي تزdan شخصية الإنسان بها عند اللقاء، فكما أنه يهتم بمظهره وملبسه إذا كان لديه موعد مع أصحابه، فليعلم أن أجمل ما يزين قلبه عند لقاء الله هو الصوم، فهذا موسى عليه السلام يستعد للقاء الله قبل مواعده بصيام ثلاثين يوما، فحري بنا أن نعمل على بناء أنفسنا وتكوين شخصياتنا بهذه العبادة حتى تكتمل، وتظهر بما يليق بها من المقومات العبادية؛ لكي تقابل الله وهو عنها راض.

المطلب الرابع: أثرها في عبادة الحج.

يُعَدُّ الْحَجُّ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَاتِ تَكْوِينًا لِلشَّخْصِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَهْدِيًّا لَهَا، وَجَاءَتْ عِبَادَةُ الْحَجِّ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ﴾ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعُنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إِبْرَاهِيمُ ٣٥ : ٣٧]، أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ الْحَكَمِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَطَاءَ وَطَاوُسَا وَعِكْرِمَةَ، عَنْ قَوْلِهِ: (فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) قَالُوا: الْحَجُّ. وَفِي رَوَايَةٍ قَالَ: هُوَاهُمْ إِلَى مَكَّةَ أَنْ يَحْجُوا^(١).

(١) الزحيلي، د. وهبة الزحيلي، "التفسير المنير"، ٥: ٩١.

(٢) ينظر: ابن جرير الطبري، "جامع البيان"، ٦: ٤٨٣٣. وقيل في معنى الآية: إن إبراهيم سأل الله أن يجعل أناساً من الناس يهوون سكنى مكة، قاله ابن عباس. وقيل: تنزع إليهم، قاله قتادة. وقيل: اجعل قوماً من الناس تهوي إليهم يعني: إسماعيل وذريته، قاله مقاتل. ينظر: ابن جرير الطبري، "جامع البيان" ٦: ٤٨٣٣؛ و"تفسير مقاتل"، ٢: ٤٠٨.

لقد بنى إبراهيم البيت الحرام بيده، ومعه ولده إسماعيل، وجعل الله هذا البيت مقصوداً للحج، وأمر الله إبراهيم أن يؤذن للناس بشأنه فقال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

ووردت عبادة الحج في القصة القرآنية في إشارة سريعة عند قصة إبراهيم عليه السلام، ولكونه من قام ببناء البيت فهو المعني بكل ما يلزم هذا البيت من العبادات ومنها عبادة الحج، ففي دعوة إبراهيم عليه السلام ﴿فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ يظهر والله أعلم أن الراجح في الأقوال أنها عبادة الحج، إذ لم يكن همه أهله فقط، ولو كان هذا الهم لما تركهم في واد غير ذي زرع، لكن في دعوته تتحقق عدة منافع بالنسبة له، منها إقامة هذه العبادة، ومنها أن القاصد لها لا شك أنه سيأتي معه بالزاد، وينتفع بهذا الزاد أهله كذلك.

والله جل وعلا بعدما أمر إبراهيم أن يؤذن للناس بالحج، بيّن أن من يجب هذا النداء رجال من كل فج عميق، وهؤلاء الرجال هم من يستحقون وصف الشخصية الإسلامية؛ لكونهم قصدوا هذا البيت معظمين لله جل وعلا؛ ولأن هذه العبادة تقوم من أولها إلى آخرها على التعظيم، فالذي يحج لا يدرك أسرار الكثير من هذه المناسك، وليس أمامه سوى التسليم لها، والقيام بها، متيقناً أن هذا أمر الله، فامتثل لهذا الأمر، وقام بما يجب عليه، ففي الحج يحرص المسلم على حسن الخلق، فلا يرفث، ولا يفسق، ولا يختلف مع أحد، ولا يجادل أحداً، فقد قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَرَّوْا فِاتِكَ خَيْرَ الزَّادِ النَّفْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهنا تظهر أثر هذه العبادة على تكوين الشخصية الإسلامية حيث تصل الأخلاق إلى ذروتها، وتتدرب على كثير من القيم، فعبادة الحج تهذيب للنفس وتطهير لها من أوسارها، وغرس للفضائل فيها، وانعكاس ذلك على سائر الجوارح من نظر وسمع ونطق.

لأن الالتزام بمثل هذه السلوكيات تعمل على تكوين الشخصية الإسلامية المتوازنة التي لا تجعل حياتها قائمة على الفسق أو اللهو أو الجدال، فمن ضبطها في الحج يريد منك أن تنضبط في سائر حياتك، وبهذا يكتمل الشخصية الإسلامية في العبادات.

ومما سبق تبين أن هذه العبادات تجعل الشخصية الإسلامية طاهرة نقيّة، تدين لله دين الحق، وتعامل الخلق بالعدل والصدق؛ لأن ما سواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه العبادات، وتصلح أحوال الأمة بصلاح أمر دينها، ويفوئها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور

دينها، ومن أراد استبانة ذلك؛ فليقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ (١٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (١٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٩٦-٩٩] ولننظر في قصص من سبق؛ فإن في القصص عبرة لأولي الألباب^(١). كما يتضح كذلك أن القصة في القرآن بينت أن جميع العبادات ((الواجبات والفرائض)) تغذي القيم العليا في الشخصية الإسلامية، وتحافظ على استمرارها ودوامها، وقد قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: معنى قوله - ﷻ -: ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥]، دين القيمة: "دين الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة"^(٢)، وفي أساس البلاغة: القيمة ثبات ودوام على الأمر^(٣)، وهما يشيران بذلك إلى أن القيمة ترد بمعنى الأمر الثابت الذي يحافظ عليه المسلم، ويستمر في مراعاتها، فالقيم المتذبذبة لا تسمى قيم، كما هو حاصل. وكذلك وضحت القصة في القرآن على أن العبادات سمة من السمات التي تتميز بها الشخصية الإسلامية عن غيرها، قال - ﷻ -: ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١١٢) لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢: ١٦٣]، وقوله - ﷻ -: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

(١) ينظر: مجموع فتاوى العثيمين (الموسوعة الشاملة) ٩٠ / ٤.

(٢) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٨: ٤٥٦.

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، "أساس البلاغة". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م)، ٢: ١١٢.

المبحث الثالث: أثر القصة القرآنية في التكوين الأخلاقي:

توطئة:

إن للقصة القرآنية أثرًا فعالاً في اكتساب الأخلاق، وضبط المعاملات في الشخصية الإسلامية، ذلك أن أهداف القصة القرآنية لا تنفصل عن أهداف القرآن الكريم عامة، وعن تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية، ومن أهداف القصة القرآنية: تعليم المسلمين فضائل الأخلاق عن طريق القدوة العملية المماثلة في قصص القرآن، والزجر عن الأخلاق الذميمة والفواحش، وحماية الإنسان من الوقوع في الآثام والحض على التوبة للمسيء^(١). ولهذا تجد كثيراً من القصص أنها حثت على مكارم الأخلاق ودورها في التربية الخلقية، والنفسية، والعلمية، وتقرير العقيدة وتقويم السلوك، وحذرت من الأخلاق السيئة والعادات القبيحة، وفيما يأتي تعريف الأخلاق، وأثر القصة القرآنية على تكوينه في الشخصية الإسلامية.

تعريف الأخلاق:

الأخلاق لغة: قال ابن منظور: والخُلُق و الخُلُق: السجية... الخلق، بضم اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها^(٢).

الأخلاق اصطلاحاً:

عرف الغزالي الأخلاق بقوله: "فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية"^(٣)، وعرفها الطاهر ابن عاشور بقوله: "السجية المتمكنة في النفس باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر، وقد فسر بالقوى النفسية، وهو تفسير قاصر؛ فيشمل طبائع الخير وطبائع الشر... ثم قال: والخلق في اصطلاح الحكماء: ملكة (أي كيفية راسخة في النفس أي متمكنة من الفكر) تصدر بها عن النفس أفعال صاحبها بدون تأمل"^(٤). وفي تعريف ابن عاشور وصف دقيق لحقيقة الأخلاق، وتعريفه.

ويمكن بيان أثر القصة في تكوين الشخصية الإسلامية أخلاقياً من خلال المطالب الآتية:

(١) انظر: أ.د. فضل حسن عباس، "قصص القرآن"، ص: ٤٤.

(٢) ابن منظور، "لسان العرب"، ٥: ١٤٠.

(٣) الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، "إحياء علوم الدين". (بيروت: دار المعرفة)، ٣: ٥٣.

(٤) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٩: ١٧١.

المطلب الأول: أثرها في وصايا الوالد في التكوين الأخلاقي.

تُعنى قصة لقمان بالاهتمام بالتربية الأخلاقية في الشخصية الإسلامية منذ الطفولة، كما هو واضح في وصاياه لابنه، فقال: -ﷺ- ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝﴾ [لقمان: ١٩].

قال ابن كثير: "هذه وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم؛ ليمثلها الناس ويقتدوا بها"^(١)، وقال ابن عاشور: "انتقل لقمان بابنه إلى الآداب في معاملة الناس فنهاء عن احتقار الناس وعن التفخر عليهم، وهذا يقتضي أمره بإظهار مساواته مع الناس وعد نفسه كواحد منهم"^(٢). فينبغي للمسلم تكوين هذه الأخلاق في عقل الطفل، ومعالجة الأخطاء والانحرافات الأخلاقية من سن الطفولة، كالسب، والكذب، والسرقة، وترك الكبر والخيلاء، والتوسط في المشي، والتأدب بخفض الصوت في الخطاب مع الآخرين، كما دلت عليه صريح وصايا لقمان لابنه.

والمأمل في قصة لقمان الحكيم مع ابنه يجد أنها جاءت في سياق تكوين الشخصية الإسلامية من الناحية الإيمانية والتعبدية والأخلاقية، وذلك لأن هذا الحديث جاء في بداية التكوين لهذا الولد الذي يحتاج إلى تربية وإعداد، فهو في بداية عمره خالي من مقومات التكوين الحقيقية، فأراد لقمان أن يخرج من العدم إلى وجوده الإيماني والتعبدي والأخلاقي بهذه الوصايا، فاحتاج إلى الأسس الثلاثة في مكونات الشخصية الإسلامية، وهنا يأتي الحديث عن التكوين الأخلاقي فخاطبه بألا يصعر خده للناس، ولا يحتقرهم أو يتكبر عليهم؛ لأن ما بعد مرحلة الطفولة تأتي مرحلة الشباب والقوة، وفيها يرى الإنسان نفسه قويا لا نظير له، وكبيرا لا ند له، فقام لقمان الحكيم بالعمل على تكوين شخصية ولده قبل الوصول إلى هذه المرحلة؛ لأن الشخصية الإسلامية ينبغي أن تعيش مع الناس كواحد منهم، لا سيذا عليهم؛ لأن هذا دأب من يعاني من خلل في شخصيته وتكوينه، فيتكبر على الناس، ويمشي في الأرض مرحاً، رافعاً صوته عند مخاطبة الآخرين؛ لأنه يرى نفسه فوق هؤلاء، فجاءت هذه القصة لبيان الأثر الذي تحدثه، وهو تربية الأطفال منذ الصغر على الأخلاق، والعمل على تكوينهم بها لتكتمل شخصيتهم، ويكون لهم تأثير على مجتمعهم وقومهم بأخلاقهم وسلوكهم.

(١) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٣: ٦٠١.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢١: ١٠٩.

المطلب الثاني: أثرها في حسن التعامل مع الوالدين.

إن برَّ الوالدين وحسن التعامل معهم من أعظم الأخلاق التي يحظى بها الشخص المسلم، وهذا الخلق يقوم على أمرين البر القولي والبر العملي، فجاءت قصة إبراهيم مع أبيه لبيان البر القولي وجاءت قصة إسماعيل مع أبيه لبيان البر العملي، وهكذا كان الجزاء من جنس العمل، فلما كان خلق البر عاقبته مردود على صاحبه، بيّن الله أثر برِّ إبراهيم بأبيه ببر ولده إسماعيل له، ولما كانت الحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء كان بر إسماعيل بأبيه أعظم من بر إبراهيم بأبيه.

فتأمل كيف لوالد أن يطلب من ولده الامتثال للذبح، ويقول الولد لأبيه: ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ويقوده إلى ذلك وهو معه، فلا يوجد أعظم من هذا البر، فإبراهيم كان حريصاً على أبيه بأن يسلم لكي ينجو من عذاب الله، وإسماعيل حريص على أن يحظى أبوه برضى الله.

إن المتأمل في هاتين القصتين يجد أننا بحاجة إلى تكوين الشخصية الإسلامية بهذه الأخلاق، وخاصة خلق البر، ولذلك نجد أن الله يقرن الإحسان إلى الوالدين بعد عبادته في أكثر من موضع؛ لفضلهم عليه، ولا يمكن للشخصية الإسلامية أن تكتمل وهي تعاني من خلل في التعامل مع الآباء، فلا لطف في القول، ولا لين في الخطاب.

إن البر بالوالدين لا يكون فقط بخدمتهم وقضاء حوائجهم، بل بالنصح لهم، فالشخصية الإسلامية معنية بدعوة آباءها إلى الله، ونصحهم والإشفاق عليهم، كما هو حال إبراهيم مع أبيه، وفيما يلي بيان ذلك:

أولاً: قصة إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه.

ففي هذه القصة تعريف للشخصية الإسلامية فن الخطاب مع الوالدين، والأدب في حضرتهم، والتعبد لله بطاعتهم وبرهم، والنصح لهم بأدب ولطف، كما هو ظاهر في تكرار قوله: ﴿يَتَابَتُ﴾، على الرغم من وضوح الحق عند إبراهيم، وجلاء المخالفة عند أبيه، ومقابلته له بالإنكار والطرده.

فقال -ﷺ- ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَتُ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَتَابَتُ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَتَابَتُ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَابَتُ إِبْرَاهِيمُ لِمَ تَتَّبِعُ الشَّيْطَانَ وَهَجَرَنِي مَلِيًّا (٤٥) يَتَابَتُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٦) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَابَتُ إِبْرَاهِيمُ لِمَ تَتَّبِعُ الشَّيْطَانَ وَهَجَرَنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ

سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ فِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ [مریم: ٤٧: ٤٧]. يبدأ إبراهيم -عليه السلام- خطابه لأبيه بلين وأدب جميل، واستعطاف يبدؤه بنداء الأبوة (يَتَابَت) يستثير بهذا النداء أبوته الحانية، ويحرك مشاعره الراكدة، يلامس بها شغاف قلبه، ليس هذا فقط، بل يكرر هذا النداء المؤثر أربع مرات مع كل خطاب لأبيه، إن لم تؤثر الأولى، فعسى أن تؤثر الأخرى^(١).

فهذا الحوار جدير بأن يذكر ليقتبس منه الدعاة والمصلحون منهجاً للدعوة والحوار^(٢).

وكذلك في هذه القصة العديد من مكارم الأخلاق، والتي لها تأثير مباشر في تكوين الشخصية الإسلامية، ومنها:

- خلق الصدق، من أهم مميزات شخصية إبراهيم الإسلامية، كما قال الله عنه في لفظة: "صديقاً"، في الآية تحمل معنى أنه كثير الصدق وأنه كثير التصديق. قال -عليه السلام- ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾، قال طنطاوي في تفسيره: "أي: واذكر -أيها الرسول الكريم- للناس في هذا القرآن قصة أبيهم إبراهيم -عليه السلام-، لكي يعتبروا ويقتدوا بهذا النبي الكريم في قوة إيمانه، وصفاء يقينه وجميل أخلاقه"^(٣)، وهو يشير إلى جميل أخلاق إبراهيم -عليه السلام- فهو القدوة والنموذج في جميل الأخلاق، وفي وصف إبراهيم عليه السلام بالصدقية قبل وصفه بالنبوة: إشارة إلى أن الصدق سجية فيه، وأنه كسائر الأنبياء عليهم السلام عرفوا بين الناس بالصدق قبل بعثتهم، كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم يدعى قبل بعثته بالصادق الأمين، فاستقامة الداعية وحسن سيرته أدعى إلى قبول دعوته وثقة الناس فيه^(٤).

- خلق الحلم، والرحمة، في قوله -عليه السلام- ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي ﴿٤٧﴾، قابل إبراهيم -عليه السلام- قسوة أبيه، بالحلم، ففي هذه الآية تظهر شخصية إبراهيم الرضي الحليم، تبدو وداعته وحلمه في ألفاظه وتعبيراته، كما وصفه ربه فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

(١) أ.د. محمد بن عبد الرحمن الشايع، "الحوار في قصص إبراهيم -عليه السلام- في القرآن الكريم دروس ودلالات". (مؤتمر: الحوار في الفكر الإسلامي ١٤٢٨هـ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة) ص: ٥.

(٢) نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، ٤: ٤٤٨.

(٣) محمد سيد طنطاوي، "تفسير الوسيط"، ٩: ٤١.

(٤) نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، ٤: ٤٥١.

- خلق المحبة والشفقة، بدلالة- ﴿يَتَأَبَّتْ﴾ - ﴿يَتَأَبَّتْ إِنْ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾، قال الزمخشري: "انظر كيف رتب إبراهيم-عليه السلام- الكلام مع أبيه في أحسن اتساق، وساقه أرشق مساق، مع استعماله المجاملة، واللفظ، والرفق، واللين، والأدب الجميل والخلق الحسن"^(١)، بهذا الأسلوب الحكيم الهادئ الرقيق خاطب إبراهيم أباه، وهو يدعو إلى عبادته-عليه السلام-.

- دفع السيئة بالتي هي أحسن، فأبوه يغلظ عليه في القول كما في قوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَأَبَّرْهُمُ﴾، وهو يرد عليه بطيب القول وسلامة اللفظ، ولين الجانب، والكلام، فيقول: ﴿يَتَأَبَّتْ﴾. قال: البيضاوي في تفسير: قوله-عليه السلام- ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَأَبَّرْهُمُ﴾ قابل أبوه استعطافه ولطفه في الإرشاد بالفظاظة وغلظة العناد، فناده باسمه ولم يقابل قوله ﴿يَتَأَبَّتْ﴾ بـ«يا ابني»^(٢).

قال الإمام الفخر: "وإيراد الكلام بلفظ ﴿يَتَأَبَّتْ﴾ في كل خطاب دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب، وإرشاده إلى الصواب، وقد رتب إبراهيم الكلام في غاية الحسن، لأنه نبهه أولاً إلى بطلان عبادة الأوثان، ثم أمره باتباعه في الاستدلال وترك التقليد الأعمى، ثم ذكره بأن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام مع رعاية الأدب والرفق، وقوله ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ دليل على شدة تعلق قلبه بمصالحه قضاء لحق الأبوة ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَتَأَبَّرْهُمُ﴾^(٣)، وقال د. وهبة الزحيلي: "لقد قابل الأب ابنه بالعنف، فلم يقل: يا بني، كما قال إبراهيم: يا أبت... وهذا الموقف الإيجابي من إبراهيم والسليبي من أبيه: له فائدته الكبرى في حساب التاريخ، ولا سيما في عصرنا حيث تخلص أغلب البشر من رجس الوثنية والشرك، وظهر الحق، وبطل الباطل"^(٤).

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ٣: ١٩.

(٢) البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، ٤: ١٢.

(٣) الرازي، "مفاتيح الغيب = التفسير الكبير"، ٢١: ٥٤٥.

(٤) الزحيلي، د. وهبة الزحيلي، "التفسير المنير"، ٢: ١٤٨١-١٤٨٠.

ثانياً: قصة إسماعيل - عليه السلام - مع أبيه.

قصَّ إبراهيم - عليه السلام - على ولده إسماعيل ما رأى في منامه، من أنه يذبحه، كما قال - عليه السلام - ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فلم يكن من إسماعيل إلا أن قال: ﴿يَكَايَبُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، وفيها إشارة إلى أن إسماعيل سارع لرضى الله، وإعانة أبيه على تنفيذ ما أمره الله.

ويتجلى في هذه القصة خلق الصبر، والذي له تأثير مباشر في تكوين الشخصية الإسلامية، وهو سمة من سمات الشخصية الإسلامية، كما قال - عليه السلام - ﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥]، والشاهد هنا صبر نبي الله إسماعيل - عليه السلام - فقد صبر على ابتلاء ربه له بالذبح فاستسلم لله، بقوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، قال ابن كثير: "وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه، وليختبر صبره وجلده وعزمه من صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه" (١).

ومن الأخلاق المستفادة من قصة إسماعيل عليه السلام في القرآن الكريم:

- خلق الصدق في الوعد، والوفاء: فقد ذكرت القصة الصفات الأساسية، التي ينبغي أن تشكل الأسوة، والقدوة لشخصية المؤمن، كما أرادها الله تعالى، كما في قوله - عليه السلام - ﴿وَأَذْكُرِي آلِ كَثِيرٍ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٢) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مریم: ٥٤: ٥٥]، ويُعدُّ الصدق في الوعد من أبرز مميزات الشخصية الإسلامية، كما أشارت إليه هذه القصة، قال د. وهبة الزحيلي - رحمه الله -: "إنه كان صادق الوعد مشهوراً بالوفاء، مبالغاً بإنجاز ما وعد، فما وعد وعداً مع الله أو مع الناس إلا وفى به، فكان لا يخالف شيئاً مما يؤمر به من طاعة ربه، وإذا وعد الناس بشيء أنجز وعده، وناهيك من صدق وعده أنه وعد أباه أن يصبر على الذبح، فوفى بذلك، قائلاً: ﴿فَكَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، وصدق الوعد من الصفات الحميدة في كل زمان ومكان" (٣).

(١) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٧: ٢٨.

(٢) الزحيلي، د. وهبة الزحيلي، "التفسير المنير"، ١٦: ١٢١.

المطلب الثالث: أثرها في حسن التعامل مع الإخوة - قصة يوسف - عليه السلام - أنموذجاً.

إن أخلاق الشخص الحقيقية لا تظهر إلا مع من هو في غنى عنهم، أو الضعفاء ومن لا مكانة لهم بين الناس، أو الخصوم الذين يكرههم، وتتجلى معادن الأخلاق بصورة أعظم حينما تصدر من عليّة القوم، وأسيادهم، وملوكهم؛ إذ لا شيء يلجئهم إلى ذلك إلا أصالتهم، وسجيتهم وحسن طباعهم.

وقصة يوسف عليه السلام تتألق في بيان مكارم الأخلاق مع الخصوم والضعفاء، ففيها تتعلم الشخصية الإسلامية: العفو، وآداب الخطاب، وقبول اعتذار المخطئين، والتواضع، والإحسان، وعلاقة الأخوة مع بعضهم البعض.

قال أ.د. فضل حسن عباس: "قصة يوسف، ونحن ننعم في رحابها ونتفياً ظلها سنجدها قصة مليئة بالعبير والدروس، دروس الحياة في كل مجالاتها، سنجد فيها دروس التربية والأخلاق والاجتماع والتاريخ والسياسة والاقتصاد ومجالات أخرى"^(١). وهي من أروع وأعجب القصص التي وردت في القرآن الكريم كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

لقد جاءت قصة يوسف مليئة بالمواقف التي تعمل على صبغة الشخصية الإسلامية بمكارم الأخلاق، ومنها: موقفه مع إخوته في مشهدها الأخير، فرغم ظلمهم له وعدوانهم عليه، وتفريقهم بينه وبين أبيه وأخيه، ورميهم له في الحبّ إلا أنه عليه السلام كان على الغاية من سمو الخطاب، ودقة الكلمات، والخلق الرفيع الذي قبل معه اعتذار إخوانه، بل دعاهم وأهلهم للمجيء لمصر، والإقامة فيها، قال -ﷺ-: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾^(٨٩) قَالُوا أَوَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَبَصِيرٍ فَإِنَّكَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ^(٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِثْرَكَ وَأَنْتَ كُنَّا لَخَطِئِينَ^(٩١) قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٨٩ - ٩٢]، وفي هذا الموقف شهد ليوسف -عليه السلام- خصومه فقالوا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاتَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِثْرَكَ وَأَنْتَ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾^(٩٢)، قال الألوسي: أي اختارك وفضلك علينا بالتقوى والصبر،... (وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) أي لمتعمدين للذنب إذ فعلنا ما فعلنا ولذلك أعزك وأذلنا...، وفي قولهم: هذا من الاستنزال لإحسانه عليه السلام والاعتراف بما صدر منهم في حقه مع الإشعار بالتوبة ما لا يخفى^(٩٣).

(١) أ.د. فضل حسن عباس، "قصص القرآن"، ص ٣٧٩.

(٢) ينظر: الألوسي، "روح المعاني"، ١٢: ٤٨٢.

ويتجلى في هذا الموقف العديد من مكارم الأخلاق، والتي لها تأثير مباشر في تكوين الشخصية الإسلامية، ومنها:

خلق الحلم والتغافل وقبول اعتذار المخطئين، في قوله ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾. لا تفرح ولا تبكى^(١)، وعن السدي قال: اعتذروا إلى يوسف فقال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ يقول: لا أذكر لكم ذنبكم^(٢). وفي قوله إشارة إلى أنه لم يعاتبهم، أو يؤنبهم على ما قاموا به تجاهه، بل تعامل معهم كما لو أنه لم يحصل شيء.

خلق العفو عند المقدرة، والسمو فوق الآلام بالدعاء لمن أساء إليه في قوله: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وهذا الخلق السامي لا يكون إلا من نفوس سامية، وذلك أن العفو خلق صناع الحضارات، ويوسف عليه السلام لم يعف عنهم فحسب، بل دعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا أبلغ معروف، ولا يمكن أن يكون إلا من الخُلص من الناس، فما لم يتصف الإنسان بالعفو فلن ينجز مهمة، ولن يصنع حضارة، ولن يبنى مجداً؛ ولن تجد عظيمًا صنع مجداً إلا والعفو شعاراً له؛ لأنه لا يجد وقتاً ينتصر لنفسه، وبالعفو يستجلب الإنسان العزة من الله، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً^(٣).

قال أبو زهرة: "يطلب من الله تعالى المغفرة لهم مما أساءوا إليه، والرحمة بهم عامة، وهكذا يكون الصفح الجميل الخالي من المُنْ به، واللوم على ما فعلوا"^(٤).

خلق التلطف في القول في قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يذكر الحب لقوله: لا تثريب عليكم، وهذا من كمال ذوقه ولطفه^(٥).

(١) السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ". (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)، ١: ٢٧٦.

(٢) ابن جرير الطبري، "جامع البيان في تأويل آي القرآن"، ٦: ٤٦٢٨.

(٣) مسلم، "صحيح مسلم". كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٢٥٨٨).

(٤) أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، "زهرة التفاسير". (دار الفكر العربي)، ٧: ٢٨٥٦.

(٥) سعيد حوى، "الأساس في التفسير"، ٥: ٢٦٨٧، وينظر: السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ص ٤٠٥.

قال العليمي: ولم يقل: من الحب؛ تكمراً لئلا يستحيي إخوته، ومن تمام الصفح ألا يذكر ما تقدم من الذنب^(١). وهذا من كمال لطفه بهم، وحسن خطابه معهم.

وفي قوله: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ البادية؛ لأنهم كانوا أصحاب ماشية وعمد، وهي الخيام، ينتقلون في الماء والمرعى^(٢). وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي، فلم يقل جاء بكم من الجوع والنصب، ولا قال: (أحسن بكم)، بل قال: ﴿أَحْسَنَ بِي﴾، فجعل الإحسان عائداً إليه^(٣). قلت: وفيها كناية عن حالة الفقر التي كانوا يعيشونها في البادية، ولم يذكرهم بتلك الحالة التي كانوا عليها.

خلق القول الحسن في قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، قال العلامة محمد الأمين: وأحال يوسف ذنب إخوته على الشيطان تكمراً منه وتادباً؛ أي: وقد أحسن بي ربي من بعد أن أفسد الشيطان ما بيني وبين إخوتي من عاطفة الأخوة، وقطع ما بيننا من وشيعة الرحم، وهيج الحسد والشر^(٤).

فبدأ بذكر نفسه أولاً، مع أنه لم يكن منه شيء تجاه إخوانه، وهذا الأدب الرفيع فيه رفع للحرَج عنهم، فقد نسب ما قام به إخوانه إلى نزغ الشيطان؛ حتى يذهب عنهم الضيق النفسي^(٥).

خلق الصبر في قوله: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾، وفيه إشارة إلى تواضعه كذلك في الخطاب، فلم يقل لقد اتقيت وصبرت.

إن هذا الدرس الذي أعطاه يوسف عليه السلام لإخوته ولغيرهم، وسيظل درساً يفيد منه كل أولئك الذين يعرضون للأخطار، وتحيط بهم المصاعب، وتظللهم الكروب، وهذا الدرس الذي هو بحق خير علاج لأمراض الحياة الاجتماعية، ونعني به قول يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٦). قال ابن عاشور: فيوسف عليه السلام اتقى الله وصبر

(١) العليمي، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، "فتح الرحمن في تفسير القرآن". تحقيق: نور الدين طالب، (ط ١)، دار النوادر، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ٣: ٤٦٣.

(٢) العليمي، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، "فتح الرحمن في تفسير القرآن". تحقيق: نور الدين طالب، ٣: ٤٦٤.

(٣) نخبة من علماء التفسير، "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم"، ٣: ٥٥٥.

(٤) الشيخ العلامة محمد الأمين الهري، "تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن"، ١٤: ١١٠.

(٥) ينظر: أ.د. فضل حسن عباس، "قصص القرآن"، ص ٤٥٨.

(٦) ينظر: أ.د. فضل حسن عباس، "قصص القرآن"، ص ٤٥٧.

وبنيامين صبر ولم يعص الله فكان تقيًا، أراد يوسف عليه السلام تعليمهم وسائل التعرض إلى نعم الله تعالى، وحثهم على التقوى والتخلق بالصبر تعريضًا بأنهم لم يتقوا الله فيه وفي أخيه، ولم يصبروا على إيثار أبيهم إياهما عليهم، وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعدة، وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله، وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته^(١).

ويتضح مما سبق في هذا المقطع الذي يبين أثر قصة يوسف عليه السلام في تكوين الأخلاق، من خلال تعامله مع إخوانه، وكيف انعكست هذه الأخلاق العظيمة إلى واقع عملي، على الرغم أنهم تأمروا عليه، ورموه ثم باعوه بثمن بخس، وغيبوه عن أبيه عقوداً من الزمن، وحرموه من حنانه، وأجأوه بسبب هذا الكيد حتى صار عبداً في بيت الوزير، ثم اتهم في عرضه، وسجن بسبب ذلك، لكنه تعامل معهم كما ينبغي عليه كشخصية إسلامية مكتملة، تعامل بأخلاق العظماء، فالعظيم لا يحقد ولا ينتقم ولا يحسد.

لم يكن يوسف عليه السلام في موقف ضعف فاحتاج إلى كسب مودة إخوانه بهذا التعامل بل هي أخلاقه الحقيقية.

وهذا ما ينبغي أن نربي عليه الشخصية الإسلامية، وأي خلل في هذه الأخلاق فهو يعد خللاً في تكوينها، فلا يمكن لشخصية إسلامية أن تكون انتقامية؛ لأن الانتقام يفقد الإنسان تأثيره في المجتمع فلا يُسمع ولا يُطاع، ولا يمكن لشخصية إسلامية أن تتعامل بحقد؛ لأن هذا يجعله يخسر الكثير من أبناء المجتمع، فالشخصية التي تحرص على التمكين وأن تكون نافعة داعية؛ عليها أن تعمل بمقومات وأخلاق الكسب لأبناء المجتمع، لأن من أسباب تمكين يوسف عليه السلام هو ما تميز به من الأخلاق الرفيعة، والصفات الحميدة، من حلم وعفو وصفح ولطف والقول الحسن والصبر والتواضع، وغيرها الكثير من المكارم، ومن لا يتصف بمثل هذا المكارم فليس جديرًا بالتمكين، ولا أهلاً له.

المطلب الرابع: أثرها في حسن التعامل مع صاحب العمل - قصة موسى - عليه السلام - .

فقد أشارت قصة موسى في القرآن الكريم إلى بيان مجموعة من الأخلاق ذات التأثير في تكوين الشخصية الإسلامية، ومنها قصته في مدين كما في قوله -ﷺ- ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۚ﴾ (٢٢) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٣: ٤٧.

﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى أَسْتَحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجَزْءٍ لَكَ أَجْرٌ مَا سَفَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْتِيكِ أَسْتَجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ أُريدُ أَنْ أَكْهَلَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُريدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فضَيْتُ فَلَا عُدُونَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى مَا نُقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾. وفي هذه القصة العديد من مكارم الأخلاق، والتي لها تأثير مباشر في تكوين الشخصية الإسلامية، ومنها:

خلق الرحمة والرفق بالضعيف وإعانة المحتاج بقوله: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾، ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾، قال القشيري -رحمه الله- في تفسيره: "فلما وافى موسى ذلك اليوم وشاهد ذلك ورأهما ينعان غنمهما عن الماء، رق قلبه، لهما وقال: ما خطبكما؟ فقالتا: .. وليس لدينا أجير" (١). وما أجمل ما ذكره صاحب الكشاف في تناوله لهذا الموقف حيث قال: "والمعنى: أنه وصل إلى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة متكاثفة العدد، ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم، فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة، مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع، ولكنه رحمهما فأعاثهما، وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده، وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلية وفيه مع إرادة اقتصاص أمره وما أوتى من البطش والقوة وما لم يغفل عنه، على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب، ترغيب في الخير، وانتهاز فرصه، وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين والأخذ بسيرهم ومذاهبهم" (٢). وقال د. وهبة الزحيلي -رحمه الله-: "فلما رآهما موسى -عليه السلام- رق لهما ورحمهما... وهذا شأن الضعيف مع القوي دائماً، يشرب القوي أولاً من الماء الصافي، ويشرب الضعيف بقية الماء. وفي هذا اعتذار لموسى -عليه السلام- عن مباشرتهما السقي بأنفسهما، وتنبيه على أن أباهما لا يقدر على السقي لشيخوخته وكبره، واستعطاف لموسى في إعانتها" (٣).

(١) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، "لطائف الإشارات = تفسير القشيري". (ط ٣، مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب)، ٣: ٦١.

(٢) الزحيلي، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ٣: ٤٠١.

(٣) الزحيلي، د. وهبة الزحيلي، "التفسير المنير"، ١٠: ٤٤٥ - ٤٤٦.

فالدافع الذي دفع موسى للكلام معهما وسؤالهما هو نخوته ومروءته وشفقته، وهي صفات متأصلة في شخصيته وكيانه، فلم يكن كلامه معهما من أجل الكلام، أو تلبية للحاجة النفسية في الميل نحو الجنس الآخر، والانبساط في محادثته ومحاورته^(١).

خلق العفاف، كما أشارت إليه الآية في قوله تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾، قال ابن عباس: "قالتا نحن امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال"^(٢).

ونرى في هذا الجواب حرص المرأتين على عدم الاختلاط بالرجال، وعدم مزاحمتهم، وعدم التغلغل بينهم، وهذا التصرف من المرأتين تصرف فطري طبيعي^(٣).

خلق الحياء: من أبرز مميزات الشخصية الإسلامية خلق الحياء، وهو الذي صورته الله في ثانيا هذه القصة عند قوله: - ﷺ - ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، قال ابن الجوزي: "وفي سبب استحيائها ثلاثة أقوال: أحدها: أنه كان من صفتها الحياء، فهي تمشي مشي من لم تعتد الخروج والدخول..."^(٤).

فالحياء خلق حميد مطلوب، وهو شعبة أصيلة من شعب الإيمان، ويمدح الإنسان المتصف به، وهو يدعو صاحبه إلى ترك الرذائل، والتحلي بالمكارم والفضائل، والهمزة والسين والتاء في الآية: (تمشي على استحياء) للتأكيد، أي أن الحياء تعمق في مشاعرها وأحاسيسها وكيانها ووجدانها، وملاً عليها وجودها، وهي في طريقها إلى موسى، وتؤكد العبارة تمكُن الحياء منها^(٥).

خلق الأمانة: من سمات الشخصية الإسلامية، وهذا الخلق هو الذي ميّز موسى عليه السلام، مما جعل من المرأة أن تثني عليه، وتطلب من أبيها الإبقاء عليه، واستئجاره، كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾^(٦)، فلما وصفته بالقوة والأمانة قال لها أبوها ومن أين عرفت هذا منه؟ فقالت: أما قوته ففي رفع الصخرة، وأما أمانته ففي طرحه من النظر إليّ وقت

(١) الخالدي، د. صلاح الخالدي، "القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث"، ٢: ٣٢٧.

(٢) الواحدي، "الوسيط في تفسير القرآن المجيد"، ٣: ٣٩٥.

(٣) الخالدي، د. صلاح الخالدي، "القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث"، ٢: ٣٢٨.

(٤) عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير". (ط ٣)، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ٣: ٣٨٠.

(٥) الخالدي، د. صلاح الخالدي، "القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث"، ٢: ٣٣٢.

هبوب الريح، قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم^(١). قال الزجاج: "أي إن خير من استعملت من قوي على عملك وأدى الأمانة فيه"^(٢)، فالقوة والأمانة صفتان حميدتان يجب توفرهما في الشخصية الإسلامية الصالحة، فالقوة: ليقوم الرجل بأعباء الحياة، والأمانة ترجع إلى خشية الله، فقد رأت من أمانته ما يجعله عف اللسان والنظر حين توجهت لدعوته، فهي تشير على أبيها باستئجاره ليكفيها وأختها مؤنة العمل والاحتكاك والتبذل، وهو قوي على العمل، أمين على المال، قال أبو حيان: "وقولها كلام حكيم جامع؛ لأنه إذا اجتمعت الكفاية والأمانة في القوائم بأمر فقد تم المقصود"^(٣)، قال محمد طنطاوي: "ومن جمع في سلوكه وخلقه بين القوة والأمانة، كان أهلاً لكل خير، ومحلاً لثقة الناس به على أموالهم وأعراضهم"^(٤).

إنه أمين على العرض والشرف، وأمين على المال والغنم، وأمين على ما يوكل إليه ويطلب منه، وقد جمع موسى بين مظهرين من مظاهر القوة، القوة الجسمية المتمثلة في متانة الجسم، والقوة الأخلاقية المتمثلة بالأمانة^(٥).

خلق إكرام الضيف وإيواء الغريب والشريد: كان موسى شاباً غريباً طريداً، والغريب ضعيف مهما اشتد، فجاءته الدعوة إكراماً له، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّكَ أَبِى يَدْعُوكَ﴾، قال السمرقندي: في تفسير قوله: ﴿ثُمَّ نَوَّاهُ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ "أي: لما أنزلت إلي من الطعام، فأنا محتاج إلى ذلك وهو أنه كان جائعاً، فسأل ربه عز وجل، ولم يسأل الناس، ففطنت الجاريتان، فلما رجعتا إلى أبيهما أخبرتا بالقصة، فقال أبوهما: هذا رجل جائع. وقال لإحداهما: اذهبي فادعيه"^(٦).

وقال د. وهبة الزحيلي: "ولما قدم إليه الطعام امتنع، وقال: إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنينا، ولا نأخذ على المعروف ثمناً، فقال شعيب: ليس هذا عوض السقي، ولكن عادتي وعادة

(١) ينظر: ابن عطية، "الحرر الوجيز"، ٦: ٥٨٦.

(٢) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، (ط ١)، بيروت: دار عالم الكتب، (١٩٨٨م)، ٤: ١٤١.

(٣) أبو حيان الأندلسي، "البحر المحيط"، ٦: ١٠٩.

(٤) محمد سيد طنطاوي، "التفسير الوسيط"، ١٠: ٣٧٩.

(٥) ينظر: الخالدي، د. صلاح الخالدي، "القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث"، ٢: ٣٤٠-٣٤١.

(٦) السمرقندي، "بحر العلوم"، ٢: ٦٠٤.

آبائي قرى الضيف، وإطعام الطعام، فحينئذ أكل موسى عليه السلام^(١). وفي هذا القول نظر؛ لأن الله قال على لسان ابنة شعيب: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾. وفي القصة دليل على أن من تطوع بعمل لآخر فعليه أن يعطيه أجرًا على سبيل المروءة وحسن الخلق، لا على سبيل الفرض، إلا أن يمتنع من أخذه^(٢).

خلق الوفاء بالعقد: وذلك في قوله: ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨]، فمن خلال هذا الحوار تعلم حقيقة الصدق والوفاء بالعقد، الذي يكسو هذا الاتفاق، فيعقوب حريص على ألا يشق على موسى، وموسى حريص على الوفاء بالعقد، وذكر أقل الأجلين لاحتمال عدم الاستطاعة في إتمام العشر السنوات، وطلب منه عدم المؤاخذه على ذلك.

إن طبيعة موسى عليه السلام، القائمة على الشهامة والمروءة والكرم والأريحية، لا تقبل إلا الكرم والفضل، ولهذا لم يكتف بالمطلوب منه، وإنما زاد السنتين الآخرين، فضلاً وكرماً^(٣). وقد أعجبني كلام ابن عاشور في ختام هذا المقطع، والذي يدل على جمال تذوقه لكلام الله تعالى، وقوة تدبره لمثل هذه المواقف، فرأيت أن أنقله، حيث قال رحمه الله: "والعبرة من سياقة هذا الجزء من القصة المفتتح بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٢ - ٢٨] هو ما تضمنته من فضائل الأعمال ومناقب أهل الكمال وكيف هيا الله تعالى موسى لتلقي الرسالة بأن قلبه في أطوار الفضائل، وأعظمها معاشرة رسول من رسل الله ومصاهرته، وما تضمنته من خصال المروءة والفتوة التي استكنت في نفسه من فعل المعروف، وإغاثة الملهوف، والرأفة بالضعيف، والزهد، والقناعة، وشكر ربه على ما أسدى إليه، ومن العفاف والرغبة في عشرة الصالحين، والعمل لهم، والوفاء بالعقد، والثبات على العهد حتى كان خاتمة ذلك تشريفه بالرسالة، وما تضمنته من خصال النبوة التي أبداها شعيب من حب القرى، وتأمين الخائف، والرفق في المعاملة، ليعتبر المشركون بذلك إن كان لهم اعتبار في مقايضة تلك الأحوال بأجناسها من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم فيهدتوا إلى أن ما عرفوه به من زكي الخصال قبل رسالته وتقويم سيرته، وركاء سريره، وإعانتة على نوائب الحق، وتزوجه بأفضل امرأة من نساء قومه،

(١) ينظر: الزحيلي، د. وهبة الزحيلي، "التفسير المنير"، ١٠: ٤٤٣.

(٢) محمد بن علي الكرجي القصاب، "نكت القرآن الدالة على البيان"، ٣: ٥٥٥.

(٣) الخالدي، د. صلاح الخالدي، "القصص القرآني، عرض وقائع، وتحليل أحداث"، ٢: ٣٤٦.

إن هي إلا خصال فاذة فيه بين قومه وإن هي إلا بوارق لاخطال سحاب الوحي عليه. والله أعلم حيث يجعل رسالاته، وليأتسي المسلمون بالأسوة الحسنة من أخلاق أهل النبوة والصلاح^(١).

ومن خلال تدبر مضامين هذه القصة وتفاصيل أحداثها، وتاريخ البلد الذي وقعت فيه - مدين - لفت انتباهي هذا المشهد الذي لم يتكرر - على حد علم الباحث - في أي موقف آخر، ولا في أي قصة أخرى، وهو أن الله دفع موسى عليه السلام بالخروج إلى مدين، وفي مدين كانت دعوة نبي الله شعيب -عليه السلام-، التي اعتمدت على الدعوة إلى عبودية الله، وعلى محاربة سلوك سيء تجذر في طباعهم، وأثر في تعاملاتهم مع بعضهم، وهو التطفيف والبخس والأنانية في الكيل والميزان، وهي قضية مهمة تقوم على محاربة هذا الطمع الذي سيطر على سلوكهم، فأصبحوا لا يفرقون بأي طريقة يحصلون على المال، ويحققون مصالحهم، فقال تعالى:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]

فانعدمت عندهم المروءة، وأصبح همهم أنفسهم، وتحقيق مصالحهم، واستمر المجتمع يتوارث هذا السلوك جيلاً بعد جيل، حتى أدرك الجيل الذي وصل إليه موسى عليه السلام، بدليل أنهم يرون يومياً امرأتين تسقيان، وما وجدنا أحداً منهم يبادر بالتعاون معهما، أو مساعدتهما، فكانت في رحلة موسى عليه السلام إلى هذا المجتمع بمثابة دعوة عملية لمكارم الأخلاق، والشهامة والعمل بأخلاق العظماء الكبار، فبادر بالخدمة، وقدم المساعدة دون طلب، وهذا ما لفت انتباه المرأتين إلى أخلاق هذا الرجل في زمن اندثرت فيه هذه القيم، وانعدمت الأخلاقيات، فما كان منهما إلا أن نقلتا الخبر إلى أبيهما، شاكرين صنيعه معهما، وعندما دعاه إليه، وتعرف عليه، وبدأ بالاتفاق معه على عقد العمل، كان هذا الشيخ الكبير والرجل الصالح؛ حريصاً جداً على مبدأ الوفاء في العقد، وصرحاً في استخدام ألفاظه؛ لأنه في مجتمع يعيش أزمة في هذا الخلق، فيخشى من ناحيته المشقة على موسى، ولا يريد أن يرى فيه ما يراه في مجتمعه من الابتزاز والاستغلال والبخس، وكان موسى عليه السلام أبلغ في الوفاء بالعقد، وسطر أروع موقف عملي في هذا المبدأ، فكان المطلوب منه ثماني سنوات فقط، وما زاد على ذلك؛ فهو من عنده، وليس ملزماً به، والالتزام بالسنوات الثمان يُعدّ وفاء منه لما تم الاتفاق عليه، إلا أنه زاد سنتين من عنده؛ ليعلمهم درساً في كمال الأخلاق، وأن العقود لا تضع للمعروف حدوداً، ولا للوفاء قيوداً، فأتم عشر سنوات، وما

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٠: ١١٠.

ذاك إلا لأنه نموذج في الأخلاق الحسنة.

لقد جاءت هذه القصة بمكارم عظيمة في تكوين الأخلاق عند التعامل مع صاحب العمل، وهذه الأخلاق من مكونات الشخصية الإسلامية ويحتاجها المرء في عمله أياً كان، ففي العمل تجد المحتاج فتساعده، وإن لم يطلب منك ذلك، وإذا وجدت من لا عمل له فتسأله عن حاله، وتتعرف عليه، وتخدمه بالعمل المناسب له، وفي العمل قد تجد المرأة المحتاجة فتساعدها، والمرأة إذا وجدت الرجل فلا تختلط معه، وإذا تحدثت معه فبقدر الحاجة.

وفي العمل تجد الجاد فتشكره على جديته، والأمين تشكره على أمانته، وتنقل هذه الصفات لكل من تعرف؛ لأن ذلك من الإنصاف في حقه.

وبما أن العمل يقوم على عقد واتفاق، وهذا العقد ضابطه الوفاء فيجب عليك أن تفي بالعقد، وتصديق بالوعد، وإن استطعت أن تقدم جهداً إضافياً فهو دليل على كمال شخصيتك، وإنسانيتك، بخلاف ما نلاحظه في هذه الأيام من أنانية لدى كثير من الموظفين والعمال، فإذا طلبت منه زيادة عملٍ طلب عليها أجرة، بحجة أنها ليست داخلية في عقد الاتفاق، بينما العمل يتخلله الكثير من المستجدات والتي تحتاج إلى مضاعفة جهد، وتعاون، فلا يلزم أن يكون هناك مكافأة لكل مستجد يتطلب عملاً، وقدوتنا في هذا موسى عليه السلام، فقد اشتغل زيادة على المتفق عليه سنتان.

كما يتضح مما سبق أن على المسلم أن يلتزم جوارب الأخلاق في القصص القرآني، والتأسي بها، والعمل بمقتضاها، وخصوصاً أخلاق الأنبياء صلوات الله عليهم، فهي حافلة بالمكارم، ففيها التعليم عن طريق القدوات العملية للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومتممة لشخصية المؤمن كما ينبغي عليه أن يكون، فالقصة القرآنية منهج تربية دائم.

الخاتمة

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فإن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث تتمثل فيما يأتي:

- ١- إن القصة القرآنية أحد المصادر الأساسية في تكوين الشخصية الإسلامية المتوازنة.
 - ٢- إن من الغايات التي توختها القصة القرآنية هي تكوين شخصية إسلامية متكاملة من حيث الإيمان والعبادة والأخلاق.
 - ٣- إن القصة القرآنية تتناول الأسس العامة في تكوين الشخصية الإسلامية بحسب المقام، ففي مواضع تتناول جانباً إيمانياً، وفي مواضع تتناول جانباً عبادياً، وفي مواضع تتناول جانباً أخلاقياً، وفي مواضع تتناول جانباً إيمانياً عبادياً، وأحياناً عبادياً أخلاقياً، وأحياناً تتناول هذه الأسس والمكونات في سياق واحد كما هو الحال في قصة إبراهيم -عليه السلام-، وقصة لقمان الحكيم مع ابنه.
 - ٤- إن الثبات على الدين لا يكون إلا بمقدار ما يحمله المرء من إيمان بالله، وهذا الثبات يتم تكوينه من خلال دراسة قصص الأنبياء والصالحين.
 - ٥- إن بناء المجتمعات وعمارة الأرض؛ لا بد أن تقوم على مكارم الأخلاق كالقوة والأمانة والبذل وخدمة الآخرين والوفاء بالعقود والعفو، وغيرها الكثير، وبدون قيام هذه المكارم ينهار المجتمع سلوكياً، ويصبح عرضةً لزوال حضارته، وفقدان قوته ووجوده.
- ومن أهم التوصيات ما يأتي:

العمل على تناول هذا الموضوع بشكل متسع في رسالة علمية، واستخراج الكنوز المتوفرة في قصص القرآن، وعقد دورات وورش عمل مع الدعاة والطلاب على استخراج هذه المكونات، وتحويلها إلى برنامج عملي في حياتنا وتعاملاتنا في المجتمع؛ لكي نرتقي بأنفسنا وأمتنا، ففي الأنبياء أسوة وقدوة، وما ذكرت قصصهم إلا للاقتداء بهم.

المصادر والمراجع

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير". (ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ).
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، "مجموع الفتاوى". عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (ط١)، السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، (١٩٩٥م).
- ابن جرير الطبري، أبو جعفر محمد، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق: أحمد عبد الرزاق وآخرين، (ط٢، دار السلام، ٢٠٠٧م).
- ابن جزى، محمد بن أحمد بن محمد بن جزى، "التسهيل لعلوم التنزيل". تحقيق: محمد بن سيدي محمد مولاي، (ط١، بيروت: دار الضياء، ٢٠١٣م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، "التحرير والتنوير". (الدار التونسية للنشر - تونس).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، "أصول في التفسير". أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية، (ط١)، السعودية: المكتبة الإسلامية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، "تفسير الفاتحة والبقرة". (ط١)، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ).
- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، "مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين"، باب: أهداف العقيدة الإسلامية، (الموسوعة الشاملة).
- ابن عطية، أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز". تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرين، (ط٢، دمشق: دار الخیر، ٢٠٠٧م).
- ابن كثير، محمد بن إسماعيل بن كثير "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، "لسان العرب". (ط٦، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٨م).
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، "البحر المحیط". (ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م).
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، "زهرة التفاسير". (دار الفكر العربي).
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، "المعجزة الكبرى القرآن". (دار الفكر العربي).

أثر القصة القرآنية في تكوين الشخصية الإسلامية، د. نبيل بن محمد مرعي سعيد

أبوبكر الجزائري، "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير". (ط ٥، السعودية: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

أحمد الفاسي، "البحر المديد" (القاهرة: ١٤١٩هـ).

أحمد ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر الأزهرى الهروي، "تهذيب اللغة". (ط ١، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ).

الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق: ماهر حبوش، (ط ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م).

باسمة العسيلي، "بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة". (ط ١، بيروت: دار الفكر).

البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل". تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

التهامي، د. نقرة التهامي، "سيكولوجية القصة في القرآن". (الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٤م).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، "التعريفات". تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (ط ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

الحجازي، محمد محمود، "التفسير الواضح". (ط ١٠، بيروت: دار الجيل الجديد، ١٤١٣هـ).

الخالدي، د. صلاح الخالدي، "القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث". (ط ٣، دمشق: دار القلم، ٢٠١١م).

الخطيب، جلال الله عمر بن سليمان، "قصص القرآن". (بحث مقدم لنيل الشهادة العالية، كلية الشريعة - جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٣٩٣هـ).

الخطيب، عبد الكريم الخطيب، "القصص القرآني في منظومه ومفهومه". (بيروت، لبنان)، (د. ت).

الرازي، محمد بن عمر بن حسين القرشي الطبرستاني الشافعي الرازي، "مفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير". (ط ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

الرومي، أ.د. فهد الرومي، "دراسات في علوم القرآن". (ط ١٦، السعودية: مكتبة الملك فهد، ٢٠٠٩م).

الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية).

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه". (ط ١، بيروت: دار

- عالم الكتب، ١٩٨٨م).
- الزحيلي د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، "التفسير الوسيط". (ط١، دمشق: دار الفكر - ١٤٢٢ هـ).
- الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، "التفسير المنير، في العقيدة والشريعة والمنهج". (ط٢، دمشق: دار الفكر، ٢٠١٤م).
- الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، "مناهل العرفان في علوم القرآن". (ط٣، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه).
- الزخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزخشري جار الله، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل". (ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).
- الزخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزخشري جار الله، "أساس البلاغة". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م).
- سراج الدين عمر الحنبلي، "اللباب في علوم الكتاب". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". (ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م).
- سعيد حوّي، "الأساس في التفسير". (ط٦، القاهرة: دار السلام، ١٤٢٤هـ).
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، "بجر العلوم". (بيروت: دار الفكر).
- السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م).
- الشايح، أ.د. محمد بن عبد الرحمن الشايح، "الحوار في قصص إبراهيم - عليه السلام - في القرآن الكريم دروس ودلالات". (مؤتمر: الحوار في الفكر الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ١٤٢٨هـ).
- الشعراوي، محمد متولي، "تفسير الشعراوي = الخواطر". (ط١، مصر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، "فتح القدير". تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، (ط١، بيروت: دار ابن حزم، ٢٠١٤م).
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، "تفسير عبد الرزاق الصنعاني". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية).

أثر القصة القرآنية في تكوين الشخصية الإسلامية، د. نبيل بن محمد مرعي سعيد

طنطاوي، محمد سيد طنطاوي، "التفسير الوسيط". (ط ١، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م).

عباس، أ.د. فضل حسن عباس، "قصص القرآن الكريم". (ط ٣، دار النفائس، ٢٠١٠م).
العليمي، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، "فتح الرحمن في تفسير القرآن". تحقيق: نور الدين طالب، (ط ١، دار النوادر، إصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - إدارة الشؤون الإسلامية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

الغزالي، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، "إحياء علوم الدين". (بيروت: دار المعرفة).
الفارابي، "الصالح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م).

الفرايدي، الخليل بن أحمد الفرايدي، "كتاب العين". تحقيق: مهدي المخزومي، والسامرائي، (دار ومكتبة الهلال).

الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، اوصاف الفرقة الناجية.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط ١، مؤسسة الرسالة، ٢٠١٣م).
القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، "لطائف الإشارات = تفسير القشيري". (ط ٣، مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب).

الكرجي القصاب، محمد بن علي الكرجي القصاب، "نكت القرآن الدالة على البيان".
الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القروي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، "الكليات". تحقيق: عدنان درويش

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، "النكت والعيون". (بيروت: دار الكتب العلمية).

مجموعة من الباحثين، "المعجم الوسيط". مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (الناشر: دار الدعوة).
محمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة).

محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، "معجم لغة الفقهاء". (ط ٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م).

المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، "تفسير المراغي". (ط ١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي

- الحلي، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).
- المري، محمد المري، "تفسير القرآن العزيز" (ط١، القاهرة: الفاروق الحديثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م).
- مصطفى فهمي، "الصحة النفسية" (ط٢، القاهرة، ١٩٥٥م).
- مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، "تفسير مقاتل بن سليمان" (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).
- مناع القطان، "مباحث في علوم القرآن" (ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م).
- المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، (الموسوعة الشاملة).
- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ.د. مصطفى مسلم، "التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم" (ط٢، جامعة الشارقة، ٢٠١٣م).
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، "تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل". تحقيق: يوسف علي بديوي، (ط١، بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
- المهرري الشافعي، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي المهرري الشافعي، "تفسير حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن". إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، "الوسيط في تفسير القرآن المجيد" (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

Bibliography

- Ibn Al-Jawzi, Abdurrahman bun Ali. " Zaad Al-Maseer fee Ilm At-Tafseer". 3rd ed, Al-Maktab Al-Islami, 1404AH.
- Ibn Taimiyah, Taqiyu Ad-Deen Abu Al-Abaas Ahmad bin Abdil Haleem. "Majmou' Al-Fataawaa" Abdurrahman bin Muhammad bin Qasim. 1st ed, Saudi Arabia, King Fahd Complex for Quranic Printings, Al-Madina Al-Munawara, 1995.
- Ibn Jarir At-Tabari, Abu Ja'far Muhammad. " Jaami' Al-Bayaan an Taweel Ayil Quran". Investigated by: Ahmad Abdu Razaaq and Others, 2nd ed, Darr As-Salaam, 2007.
- Ibn Al-Jazzi, Muhammad bun Ahmad bin Muhammad bin Jazi. "At-Tasheel li Uloum At-Tanzeel" Investigated by: Muhammad bun Seedi Muhammad Mawlaaya. 1st ed, Beirut: darr Al-Baidaa 2007.
- Ibn Ashour, Muhammad At-Tahir bun Ashour At-Tunisi. " AtTahrir wa At-Tanweer". Darr At-Tunisia for Printings – Tunisia.
- Ibn Uthaimen, Muhammad bun Saleh bun Muhammad. "Usoul fee At-Tafsir" supervised its investigation: the investigation department at the Islamic Library. 1st ed. Saudi, Al-Maktabah Al-islamaayah, 1422AH – 2001.
- Ibn Uthaimen, Muhammad bun Saleh bun Muhammad. "Tafseer Al-Fatiha wa Al-Baqara" 1st ed, Kingdom of Saudi arabia: Darr Ibn Al-Jawzi 1423AH.
- Ibn Uthaimen, Muhammad bun Saleh bun Muhammad. " Majmou' Fataawaa wa Rasaail Ibn Uthaimen, Baab Ahdaaf Al-Aqeedah Al-Islamiyah, (Al-Mawsu'at As-Shamilah).
- Ibn Attiya, Abu Muhammad Abdul Haqq bin Attiya Al-Andalusi. "Al-Muharrar Al-Wajeez fee Tafsirr Al-Kitaab Al-Azeez". Investigated by: Ar-Rahaalag Al-Farouq and Others, 2nd ed, Damascus darr Al-Khair, 2007.
- Ibn Katheer, Muhammad bun Ismail. " Tafseer Al-Quran Al-Azeem" Investigated by: Saami bun Muhammad Salaama, 2nd ed, Darr taibah 1420Ah – 1999.
- Ibn Manzour, Muhammad bun Mukrim bun Ali. " Lisan Al-Arab". 6th ed, Beirut: Darr Sadir, 2008.
- Abu Hayaan Al-Andalousi, Muhammad bun Yousuf. "Al-Bahr Al-Muheet". 2nd ed, Beirut: Darr Al-Kutub Al-Ilmiyah, 2007.
- Abu Zahrah, Muhammad bun Ahmad bun Mustapha. " Zahrat At-tafaaseer". Darr Al-Fikr Al-Arabi.
- Abu Zahrah, Muhammad bun Ahmad bun Mustapha. " Al-Mu'jizat Al-Kubraa Al-Qursan". Darr Al-Fikr Al-Arabi.
- Abubakar Al-Jazaari. " Aysarr At-Tafaaseer li Kalaam Al-Ali Al-Kabirr". 5th ed, Saudi: Maktabat Al-Uloum wa Al-Hikam, 1424AH/ 2003.
- Ahmad Al-Faasi. "Al-Bahr Al-Madeed" Cairo 1419AH.
- Ahmad bun Faris. " Mu'jam Maqaayis Al-Lugha ". Investigated by: Abdu Salaam Muhammad Haroun. Darr Al-Fikr: 1399Ah – 1979.
- Al-Azhari, Abu Mansour Muhammad bun Ahmad. " Tahzeeb Al-Lugha". 1st ed, Darr Al-masriyah, 1384.
- Al-Alousi, Shihaab Ad-Deen Mahmoud ibn Abdillah. " Rouh Al-Ma'aani fee Tafseeri Al-Quran Al-Azeem wa As-sab' Al-Mathaani". Investigated by: Mahir Habous, 1st ed, Beirut: Muassat Ar-Risaalah, 1431AH, 2010.
- Basimah Al-Usaili, " Binaa As-Shaksiyat Al-Islaamiyat Al-Mu'asirah". 1st ed,

- Beirut: darr Al-fikr.
- Al-Baydaawi: 'Abdullaah bun 'Umar bun Muhammad Al-Sheeraazi , "Anwaar Al-Tanzeel wa Asraar At-Tahweel". Investigated by: Muhammad 'Abdur Rahmaan Al Mar'ashly, 1st edt, Beirut: Daar Ihyah At-Turaath Al-'Arabi, 1418AH.
- At-Tihaami, Naqrah PhD, "Saiqalaajiyyatul Qissah fil Qur'aan". As-Sharikah At-Tunisiyyah li At-Tawzii' 1984AD.
- Al- Jurjaani: 'Ali bun Muhammad bun 'Ali Az-Zain Al-Shareef , "At-Ta'reefaat". Investigated by: A group of scholars under the supervision of the publisher, 1st edt, Beirut: Daar al-Kutubil 'Ilmiyyah, 1403AH – 1983AD.
- Al-Hijaazi: Muhammad Mahmud, "At-Tafseer Al-Waadih". 10th edt, Beirut: Daar Al-Jiil Al-Jadeed, 1413AH.
- Al-Khaalidi, Solaah PhD, "Al-Qasas Al-Qur'aani 'Ard Waqaai' wa Tahleel Ahdaath". (3rd edt, Damascus: Dar Al-Qalam, 2011AD.
- Al-Khateeb, Jaarullaah 'Umar bun Sulaymaan, "Qasaul Qur'aan" A thesis submitted for Al'Aaliyah award at the Faculty of Shari'ah in Imam Muhammad bun Sa'ud University in Riyadh, 1393AH.
- Al-Khateeb, 'Abdul Kareem, "Al Qasas Al-Qur'aani fee Mandhumihi wa Mafhoomihi". Beirut-Lebanon, N.D.
- Ar-Raazi, Muhammad bun 'Umar bun Husain Al-Qurashi At-Tabarastaani Ash-Shaafi'i, "Mafaatihul Gayb Al-Ma'ruuf bi At-Taseeril Kabeer". 3rd edt, Beirut: Daar Ihyah At- Turaath Al-'Arabi, 1420AH.
- Ar-Ruumi, Fahd, Professor, "Diraasaat fee 'Uloomil Qur'aan". 16th edt, Saudi Arabia: Maktabatil Malik Fahd, 2009AD.
- Az-Zabeedi: Muhammad bun Muhammad bun 'Abdir Razaq Al-Husaini, Al-Mulaqqab bi Murtadha, "Taajul 'Aruus min Jawaahir Al-Qaamuus" Investigated by: A group of investigators, Dar Al-Hidaayah.
- Az-Zajaaj, Ibroheem bun As-Sariy bun Sahl, Abu Ishaq Az-Zajaaj, "Ma'aani Al-Qur'aan wa I'roobihi". 1st edt, Beirut: Daar 'Aalimil Qutub, 1988AD.
- Az-Zuhaili, Wahbah bun Mustafa, PhD, "At-Tafseer Al-Waseet". 1st edt, Damascus: Dar Al-Fikr -1422AD.
- Az-Zuhaili, Wahbah bun Mustafa, PhD, "At-Tafseer Al-Muneer fee Al-'Aqeedah wa Ash-Sharee'ah wa Al-Manhaj". 12th edt, Damascus: Dar Al-Fikr, 2014AH.
- Az-Zurqaani, Muhammad 'Abdul 'Adheem,"Manaahil Al-'Irfaan fee 'Uloomil Qur'aan". 3rd edt, Egypt: Matba'a Isa Al-Baabi Al-Halabi wa Shuraqaahu.
- Az-Zamaqshari, Abul Qasim Mahmud bun 'Amr bun Ahmad, Jaarullah, "Asaas Al-Balaagah". 1st edt, Beirut: Daar Al-Kutubil 'Ilmiyyah, 1998AD.
- Siraajuddeen 'Umar Al-Hambali, "Al-Lubaab fee 'Uloomil Kitaab". 1st edt, Beirut: Daar Al-Kutubil 'Ilmiyyah, 1419AH- 1998AD.
- Sa'eed Hawwa, "Al- Asaas fee At-Tafseer". 6th edt, Cairo: Daarus Salaam, 1424AH.
- As-Samarqandi, Abu Layth Nasr bun Muhammad bunn Ibroheem Al-Faqeeh Al-Hanafi, "Bahrul 'Uloom". Beirut: Daarul Fikr.
- As-Sameen Al-Halabi, Abul 'Abaas, Shihaab-ud-deen, Ahmad bun Yusuf bun ad-Daaim Al-Ma'ruuf bi As-Sameen Al-Halabi, "Umdatul Huffadh fee Tafseer Ashraf Al-Alfaadh". 1st edt, Beirut: Daar Al-Kutubil 'Ilmiyyah, 1996AD.

- Ash-Shaayi', Muhammd bun Abdir Rahmaah, Prof., "Al-Hiwaar fee Qasas Ibroheem –'alayhis salaam- fil Qur'aanil Kareem, Duruus wa Dalaalaat". Muhtamar: Al-Hiwaar fil Fikr Al-Islaami, Faculty of Shari'ah and Islamic Studies, Sharjah University, 1428AH.
- Ash-Sha'raawi, Muhammad Mutawalli, "Tafseer Ash-Sha'raawi = Al-Kawaatir". 1st edt, Egypt: Mataabi' Akhbaar Al-Yawm, 1997AD.
- Ash-Shawkaani, Muhammad bun 'Ali bun Muhammad bun 'Abdillaah Al-Yamani, "Fathul Qodeer" Investigated by: 'Abdur Rahman 'Umayrah, 1st edt, Beirut: Dar Ibn Hazm, 2014AD.
- As-San'aani, 'Abdur Rozaq bun Humaam, "Tasfeer 'Abdur Rozaq As-San'aani" 1st edt, Beirut: Dar Al-Kutubil 'Ilmiyyah.
- Tantaawi, Muhammad Seyyid, "At-Tafseer Al-Waseet". 1st edt, Cairo: Dar Nahdat Misr Lit Tibaa'at wa Nashr wa Tawzee', 1997AD.
- 'Abbas, Fadl Hassan, Prof., "Qasas Al-Qur'aanil Kareem". 3rd edt, Dar An-Nafaais, 2010AD.
- Al-'Ulaimi, Mujeer-ud-deen bun Muhammad Al-Maqdisi Al-Hambali, "Fathur Rahman fee Tafseeril Qur'aan". Investigated by: Nuuruddeen Taalib, 1st edt, Daar An-Nawaadir, Publications of Ministry of Endowments and Islamic Affairs – Office of Islamic Affairs, 1430AH – 2009AD.
- Al-Ghazali, Muhammad bun Muhammad, Abu Hamid, "Ihyah 'Uluum Ad-Deen". Beirut: Dar Al-Ma'rifah.
- Al-Faaraabi, "As-Sihaah Taaj Al-'Lugah wa Sihaah Al-'Arabiyyah". Investigated by: Ahmad 'Abdul Gafuur 'Ataar, 3rd edt, Beirut: Dar Al 'Ilm lil Malaayin, 1307AH – 1987AD.
- Al-Faraahiidi, Khaleel bun Ahmad, "Kitaab Al-'Ain". Investigated by: Mahdi Al-Makhzoomi and As-Saamuraahi, Daar wa Maktabatil Hilaal.
- Al-Fawzaan, Solih bun Fawzaan bun 'Abdillaah, Sharh 'Aqeedatil Imam Al-Mujadid Muhammad bun 'Abdil Wahab, Awsaaf Al-Firqat An-Naajiyah.
- Al-Qurtubi, Abu 'Abdillaah Muhammad bun Ahmad bun Abi Bakr bun Farah Al-Ansaari Al-Kazraji, Shamsuddeen, "Al-Jaami' li Ahkaamil Qur'aan". Investigated by: Abdullaah bun 'Abdul Muhsin At-Turki, 1st edt, Muassasat Ar-Risaalah, 2013AD.
- Al- Qushayri, Abdul Kareem bun Hawazaan bun 'Abdul Malik, "Lataaiful Ishaarat = Tafseerul Qushayri". 3rd edt, Egypt: General Egyptian Book Organization.
- Al-Kharji Al-Qassab, Muhammad bun 'Ali , "Nukatul Qur'aan Ad-Daalah 'ala Al-Bayaan".
- Al-Kafawi, Ayyub bun Musa Al-Husaini Al-Qariimi, Abul Baqaa Al-Hanafi, "Al-Kulliyyaat". Investigated by: 'Adnan Darweesh.
- Al-Maawardi, Abul Hasan 'Ali bun Muhammad bun Muhammad bun Habeeb Al-Basory Al-Bagdaadi, "An Nukat wal 'Uyuun". Beirut: Dar Al-Kutubil 'Ilmiyyah.
- A group of researchers, "Al- Mu'jamil Waseet". Arabic Language Council in Cairo, Published by: Dar Ad-Da'wah.
- Muhammad Al-Misri, Beirut: Musassasat Ar-Risaalah.
- Muhammad Rawaas Qal'aji – Haamid Saadiq Qanaibi, "Mu'jam Lugatil Fuqahaa". 2nd edt, Daar An-NafaaisLit Tibaa'at wa Nashr wa Tawzee', 1408AH –

- 1988AD.
- Al-Muraaghi, Ahmad bun Mustafa, "Tafseer Al-Muraaghi". 1st edt, Egypt: Sharikat Maktaba wa Matba'a Mustafa Al-Baabi Al-Halabi, 1365AH – 1946AD.
- Al-Murri, Muhammad, "Tafseerul Qur'aan Al-'Azeez" 1st edt, Cairo: Al-Faaruuq Al-Hadeetha, 1423AH- 2002AD.
- Mustafa Fahmi, "As-Sihah An-Nafsiyyah". 2nd edt, Cairo: 1955AD.
- Muqaatil bun Sulayman, bun Basheer, Abul Hassan Al-Azdi bil Walaa Al-Balkhi, "Tafseer Muqaatil bun Sulayman". 1st edt, Beirut: Dar Al-Kutubil 'Ilmiyyah, 1424AH – 2003AD.
- Mannaa' Al-Qattaan, "Mabaahith fee 'Uloomil Qur'aan". 2nd edt, Muassasat Ar-Risaalah, 1999AD.
- Ah-Manhajil Akhlaaqi wa Hukuukul Insaan fil Qur'aan Al-Kareem, (Al-Mawsoo'at Ash-Shaamelah).
- Selected scholars of Tafsir and science of Qur'an, Supervised by: Professor Mustafa Muslim,
- At-Tafseer Al-Mawdoo'iy li Suwaril Qur'aanil Kareem. 2nd edt, Sharjah University, 2013AD.
- An-Nasafi, Abul Barakaat 'Abdullaah bun Ahmad bun Mahmud Hafidh Deen, "Tafseer An-Nasafi = Madaarik At-Tanzeel wa Haqooiq At-Tahweel". Investigated by: Yusuf Ali Badiiwi, 1st edt, Beirut: Darul Kalimit Tayyib, 1419AH – 1998AD.
- Al-Harari Ash-Shaafi'I, Al-'Allaamah Muhammad Al-Ameen bun Abdullaah Al-Arami Al-'Alawi , "Tafseer Hadaaik Ar-Ruuh wa Ar-Rayhaan fee Rawaabi 'Uloomil Qur'aan". Supervision and revision: Dr. Haashim Muhammad Ali bun Husain Mahdi, 1st edt, Beirut: Dar Tawq An-Najaah, 1421AH – 2001AD.
- Al-Waahidi, Abu Al-Hassan Ali bun Ahmad bun Muhammad bun 'Ali, "Al-Waseet fee Tafseer Al-Qur'aan Al-Majeed". 1st edt, Beirut: Daar Al-Kutubil 'Ilmiyyah, 1415AH – 1994AD.

The contents of the issue

No.	The research	The page
1)	Interpretation of the verses: {And We did not send before you any messenger or prophet except that when he spoke [or recited], Satan threw into it} [some misunderstanding], and the two verses after it Followed by an analytical interpretation Dr. Ali bun Jareed bun Hilal Al-Anazi	9
2)	The Emergence of Hypocrisy in This Nation through the Holy Quran Dr. Khalid bun 'Uthman As-Sabt	75
3)	The nonverbal Illustrative methods in Tafseer (Quranic interpretation) narrations Dr. Ali bun Abdillah bun Hamad As-Sakaakir	137
4)	The Impact of The Quranic Story in Forming the Islamic Character Dr. Nabeel bun Muhammad Mar'ee Sa'eed	189
5)	A Study of "Kuthayyir bun Abdullah Al – Muzani's" status with a study of the hadith: "reconciliation is permissible among Muslims" Dr. Muhammad bun Saalim bun Abdullaah Al-Haarithi	261
6)	The prophetic approach on facing the problems of migration, an analytical study Dr. Awaatif Ali Muhammad Al-Januubi	329
7)	The Narration of the Un-Named Narrators and its effect on the Ruling of a Hadeeth Dr. Abdullaah bun Ghaali Abu Rab'ah As-Sihli	375
8)	The belief Issues Related to the Distress Hadith Dr. Taariq bun Sa'eed bun Abdillah Al-Qahtaani	443
9)	Rulings of the Muslim spy (Comparative Fiqh Study) Dr. Ahmad Ali Muhammad Al-Ghamidi	503
10)	The jurisprudential provisions concerning the shadow Dr. Muhammad bun Sanad Ash-Shaamaani	533
11)	Efforts of jurisprudence scholars in Saving the sources of Islamic law _ Selected Models Dr. Salman bun Muhammad An-Najran	575

Publication Rules at the Journal ^(*)

- The research should be new and must have not been published before.
- It should be genuine, innovative and informative.
- It should not be excerpted from a previous published works of the researcher.
- It should comply with the standard academic research rules and its methodology.
- It should include the following:
 - Title page in Arabic.
 - Title page in English.
 - An abstract in Arabic.
 - An abstract in English.
 - Introduction.
 - Body of the research.
 - A conclusion that includes the research findings and recommendations.
 - Bibliography in Arabic.
 - Transliteration of Arabic bibliography in Latin alphabet on a separate list.
 - Necessary appendices (if any).
- If the research is published in paper form (hardcopy), the researcher will be given one free copy of the journal's issue in which his work was published and (10) copies excerpted from his research paper.
- In case the research is approved for publication, the journal assumes all of its copyrights and reserves the right to republish it in a hard or soft copy, and it also have the right to include it in a local and global databases with or without compensation, and without having to obtain the researcher's permission.
- The researcher shall not republish his research which has been accepted for publication in the journal in any other publishing channel without a prior written permission from the editor-in-chief.
- The style of documentation adopted in the journal is Chicago style.

(*) These general rules are explained in detail in the journal's website:

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

The Editorial Board

Prof. Dr. Amin bun A'ish Al-Muzaini

(editor)

A professor of Quranic science and its interpretation at Islamic University

Prof. Dr. Abdullah bun Julaidan Az-Zufairi

A professor of Aqidah at Islamic University

Prof. Dr. Hafiz bun Muhammad Al-Hakami

A professor of Hadith Sciences at Islamic University

Prof. Dr. Muhammad Sa'd bun Ahmad Al-Youbi

A professor of Fundamentals of Fiqh at Islamic University

Prof. Dr. Ahmad bun Muhammad Ar-Rufaa'i

A professor of Fiqh at Islamic University

Prof. Dr. Abdu Raheem bun Abdillah As-Shinqiti

A professor of Quranic recitations at Islamic University

Prof. Dr. Ali bun Sulaiman Al-Ubaid

A former professor of Quranic science and its interpretation at Imam Muhammad bun Saud's University

Prof. Dr. Mubarak Muhammad Ahmad Rahmat

A professor of Quranic studies at Ummu Darrman Islamic University

Prof. Dr. Muhammad bun Khalid Abdil Azeez Mansour

A professor of Fiqh and its fundamentals at Jordanian and Kuwait University

Editorial Secretary: **Khalid bun Sa'd Al-Ghamidi**

Publishing department: **Omar bun Hasan al-abdali**

The consulting board

Prof.dr. Sa'd bun Turki Al-Khathlan

A former member of the high scholars

His highness Prince Dr. Sa'oud bun Salman bun Muhammad A'la Sa'oud

Associate professor of Aqidah at King Sa'oud University

His excellency Prof. dr. Yusuff bun

Muhammad bun Sa'eed

Vice minister of Islamic affairs

Prof.dr. A'yaad bun Naami As-Salami

The editor –in– chief of Islamic Research's Journal

Prof.dr. Abdul Hadi bun Abdillah Hamitu

A professor of higher education in Morocco

Prof.dr. Musa'id bun Suleiman At-Tayyarr

Professor of Quranic Interpretation at King Saud's University

Prof. dr. Ghanim Qadouri Al-hamad

Professor at the college of education at Tikrit University

Prof. dr. Mubarak bun Yusuf Al-Hajiri

former Chancellor of the college of sharia at Kuwait University

Prof. dr. Zain Al-A'bideen bilaa Furaij

A professor of higher education at Al-Hassan the second's University

Prof. dr. Falih Muhammad As-Shageer

A professor of Hadith at Imam bun Saud's University

Prof. dr. Hamad bun Abdil Muhsin At-Tuwajiri

A professor of Aqeedah at Imam Muhammad bun Saud's University

Prof. dr. Abdul Azeez bun Abdurrahman Ar-Rabee'a

Professor of compared Fiqh at the higher school for Judiciary

Paper version

Filed at the King Fahd National Library No. 8736/1439 and the date of
17/09/1439 AH

International serial number of periodicals (ISSN) 7898-1658

Online version

Filed at the King Fahd National Library No. 8738/1439 and
the date of 17/09/1439 AH

International Serial Number of Periodicals (ISSN) 7901-1658

the journal's website

<http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html>

The papers are sent with the name of the Editor – in – Chief of the
Journal to this E-mail address

Es.journalils@iu.edu.sa

(The views expressed in the published papers reflect the views of the
researchers only, and do not necessarily reflect the opinion of the journal)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Islamic University Journal

of Islamic Legal Sciences

Vol : 187

Issue : 52

february 2019